المحور الثانى

إستراتيجية الحرب

٣ ـ العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد لبنان

« رؤية تحليلية » ..... لواء: أ. د. زكريا حسين

٤ ـ حزب الله بين « الوعد الصادق وتغيير الاتجاه »

(نموذج لجيل رابع من الحروب)..... عميد: أ. ح. محمد صفوت الزيات

• التعقيب ..... د. نادية مصطفى ـ لواء: محمد خير شياب

obeikan.com

obeikan.com

٣ ـ العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد لبنان «رؤية تحليلية»

لواء: أ. د. زكريا حسين(*)

مقدمة

تؤثر فى التخطيط الإستراتيجى الإسرائيلى لاستخدام القوات المسلحة عدة عوامل رئيسة، نابعة من نظريتها للأمن الإسرائيلى من جانب، ومن عقيدتها القتالية من جانب آخر. . ولعل عرض وتحليل هذه العوامل يقودنا إلى تحليل علمى ودقيق لأسلوبها فى التخطيط وإدارة العمليات العسكرية التى قامت بها ضد لبنان وحزب الله. .

لقد التزم التخطيط الإستراتيجى العسكرى لإسرائيل[١] **بخمسة عوامل رئيسة لمواجهة التحديات والتهديدات لأمنها القومى**. . وقد تمثلت هذه العوامل فى:

أولاً: عدم قدرة الدولة العبرية على تحمل حرب استنزاف طويلة أو صراع مسلح يكبدها خسائر بشرية عالية، كما لا يمكنها أن تتحمل نزيفًا اقتصاديًا ناتجًا عن صراعات مسلحة طويلة الأمد، أو تحمل خسائر بشرية تهدد كيانها الاجتماعى والسياسى.

ثانيًا: استمرار المحافظة على درجة من التفوق النوعى على معظم التهديدات المحتملة؛ وذلك لردع العدوان وتأكيد أن أى صراع مسلح يمكنها أن تكسبه بسرعة وحسم.

ثالثًا: أنه لا يمكن أن يرتهن أو يرتكز الأمن الإسرائيلى على مواقف الدول الأخرى، ولا يمكن السماح لتهديد محتمل بأن يعمل فى بيئة يمكن فيها تدمير إسرائيل وتهديد

(*) المدير الأسبق لأكاديمية ناصر العليا، ومستشار رئيس الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا.

بقائها . . وقد ارتقى هذا العامل فى الفكر الإستراتيجى العسكرى الإسرائيلى ليصل لكونه عقيدة راسخة ؛ دفعت إسرائيل إلى تطوير قوة نووية قوية وإنتاج واستيراد صواريخ بعيدة المدى لحمل الرءوس النووية إلى الأهداف التى يحتمل أن تهدد بقاءها واستمرارها .

رابعًا : الاحتفاظ بالقدرة على تحقيق نتائج حاسمة فى أى صراع رئيس أو ثانوى ، قبل أن تتمكن القوى الخارجية من التدخل أو مواجهة إسرائيل بأمر واقع ، يؤدى إلى هزيمة محدودة .

خامسًا : استمرار التخطيط الإستراتيجى العسكرى لهزيمة التهديد الأكثر احتمالاً ، مع عدم إهمال خطورة القيام أو التنسيق لبناء قوات عربية موحدة . .

هذا وقد بُنيت هذه العوامل فى إطار مبدأين رئيسين : **المبدأ الأول** : هو اعتماد التخطيط الإستراتيجى العسكرى على فكرة **«البقاء القومى»** ، الذى يفرض على إسرائيل أن تكون الدولة الوحيدة فى التوازن العربى الإسرائيلى ؛ حيث لا يمكنها تحمل هزيمة حاسمة واحدة ، **المبدأ الثانى** : هو الارتقاء بالتحالف الإستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية ليوفر لها سيلاً من المعونات فى صورة منح لا ترد ومن القدرات التكنولوجية العسكرية المتفوقة التى تمكنها من تحقيق هذه العوامل ، دون أن تتحمل الموازنة المالية الإسرائيلية عبئًا أكبر من قدرتها أو طاقتها ! !

وفى مجال التقييم والتحليل لمدى التزام المخطط الإستراتيجى العسكرى بهذه العوامل فى عملياته العسكرية ضد لبنان ، وفى مواجهة **«حزب الله»** بصفة خاصة ؛ يتضح أن **«حزب الله»** قد نجح فى استيعاب هذه العوامل وخطط تخطيطًا مسبقًا ودقيقًا لمواجهتها والحد من فعاليتها . . حيث نجح المخطط الإستراتيجى للعمليات العسكرية لـ **«حزب الله»** فى إدارة مواجهة عسكرية اتسمت بالصمود ، الذى امتد لفترة **«ثلاثة وثلاثين يومًا»** ؛ مما أهدر أهم عامل من العوامل التى التزمت بها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ؛ وهو : **«عدم قدرة الدولة على تحمل حرب استنزاف طويلة»** ؛ حيث إن ذلك ينعكس انعكاسًا مؤثرًا على الاقتصاد الإسرائيلى ؛ حيث إن قوة العمل الإسرائيلية التى تدير الاقتصاد هى نفس قوة الاحتياط التى تعبأ لاستكمال بناء القوة المسلحة الإسرائيلية . وبالتالى فإن إطالة زمن المواجهة من خلال صمود «**حزب الله**» انعكس انعكاسًا مباشرًا على الاقتصاد الإسرائيلى ؛ وهو ما دعا إلى التردد وإلغاء فكرة الاستدعاء الكامل لقوة الاحتياط ، وإلغاء العمليات

البرية الموسعة، والاكتفاء بعمليات محدودة لتُمكنها من مواجهة عملية الاستنزاف الطويلة التى خطط لها **«حزب الله»** لتمتد لأكثر من خمسة أسابيع متوالية.

كما قد نجح **« حزب الله»** فى نقل العمليات العسكرية إلى الداخل الإسرائيلى، وفرض على سكان الشمال الإسرائيلى البقاء فى الملاجئ؛ مما أشعرهم - لأول مرة - بالتدمير المباشر لمنازلهم وممتلكاتهم. . كما أن إسرائيل مُنيت بخسائر اقتصادية وعسكرية وسياسية كبيرة؛ مما يعنى أنها لم تقدر على حسم عملياتها المسلحة ضد **«حزب الله»** بالسرعة التى تتناسب مع عقائدها ومبادئها القتالية، وتلك العوامل الرئيسة التى التزمت بها فى تخطيطها الإستراتيجى.

هذا وقد أدت العمليات العسكرية الإسرائيلية إلى إعادة النظر فى مفهوم مبدأ **«التوازن العسكرى»**، والذى يعرفه العلم العسكرى **بأنه التعادل من حيث «الكم والكيف» بين القوتين المتصارعتين؛ حيث يعنى «الكم» عدد القوات وأسلحة ومعدات القتال للجانبين، أما «الكيف» فهو يعنى التماثل فى امتلاك التكنولوجيا العسكرية، ومدى حداثة أسلحة ومعدات القتال، وتمشيها مع كل جديد فى هذا المجال**، إلى جانب آلية القيادة والسيطرة، ومنظومة الحرب الإلكترونية، وذلك بالقدر الذى يجعل **«النصر والهزيمة»** من نصيب القوة التى تمتلك التفوق، سواء فى حجم المعلومات المتوفرة، ومدى دقتها عن القوة الأخرى، أو فى إجادتها لتطبيق مبادئ القتال والفن والعلم العسكرى؛ بل والتفوق فى مجال التخطيط الإستراتيجى العسكرى، والإعداد والتدريب والتجهيز لمسرح العمليات!!

وإذا طبقنا مفهوم التوازن العسكرى بهذا المعنى على **«حزب الله»**؛ يتضح الفارق الكبير الذى لا يقارن بين قوة وحجم وتسليح **«حزب الله»**، وبين قوة الجيش الإسرائيلى **رباعية الأضلاع؛ فضلعها الأول قوة تقليدية تمتلك أقوى ما أنتجته تكنولوجيا التسليح، وضلعها الثانى قوة فوق تقليدية جرثومية وكيماوية، وضلعها الثالث قوة نووية، وضلعها الرابع قوة فضائية**. . إلى جانب دعمها بسلسلة من التحالفات الدفاعية والإستراتيجية الدولية، أهمها مع **الولايات المتحدة وتركيا والهند!!**

ورغم هذا الخلل الشديد فى **«التوازن العسكرى»** بين القوة المسلحة لـ **«حزب الله» ودولة إسرائيل**؛ إلا أن هناك إجماعًا من نخبة المثقفين والمفكرين والمحللين على أن

صمود حزب الله وأسلوب قتاله وإدارته الناجحة لعملياته ضد القوة فائقة القدرة الإسرائيلية أضاف عوامل جديدة لذلك التوازن العسكرى، يمكن حصرها فى: **درجة التميز والتفوق والثبات والتحكم والسيطرة للقائد وهيئة قيادته**؛ حيث تفوقت وتميزت القيادة الثابتة والمتزنة للمقاومة عن قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية، والتى أدت إلى دعمها قياديًا خلال فترة العمليات، **بالإضافة إلى كفاءة العنصر البشرى**، والذى كان مفاجأة هذه العمليات، والذى اتسم بالإرادة الصلبة والإيمان الراسخ والثبات والتضحية والمبادرة، التى فرضت على القوات الإسرائيلية أسلوب قتال حرب العصابات، مع السرية فى الإعداد والتخطيط والتدريب، وتجهيز مسرح العمليات بالأنفاق والتحصينات والدشم وغيرها؛ فكان التشتت وعدم القدرة على المواجهة، من خلال اقتيادهم إلى محاور معدة مسبقًا ومجهزة لعمليات الإغارات والكمائن الناجحة ضد أرتال القوة الإسرائيلية المدرعة والميكانيكية، وفرض ترجلها من مركباتها ومدرعاتها والقتال وجهًا لوجه؛ مما أدى إلى تحييد عناصر القوة التى يعتمد عليها المقاتل الإسرائيلى، سواء بالاختراق السريع بالمدرعات والآليات، أو الاعتماد على التمهيد والتدمير الجوى والصاروخى لسرعة الاختراق.. **فكان القتال المتلاحم والقتال خارج الآليات والمدرعات؛ مما انعكس سلبًا على التفوق الإسرائيلى، وأضاف الكثير للقدرات القتالية لـ«حزب الله»**.. **وبالتالى لمبدأ التوازن العسكرى بالشكل والأسلوب المتعارف عليه عسكريًا**؛ الأمر الذى تطلب تدارس وتحليل تنظيم وإدارة العمليات العسكرية الإسرائيلية؛ للوقوف على الأسباب الحقيقية وراء عدم تحقيق الأهداف الإسرائيلية المعلنة، والنتائج التى انتهت إليها هذه العمليات العسكرية، وأوجه القصور **الذى أدى إلى سعى الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الإستراتيجى لإسرائيل لسرعة تلبية المطالب التسليحية التكنولوجية (القنبلة الذكية والقنبلة الصامتة) التى تُمكنها من تنفيذ الأهداف المخططة للعمليات والمنسقة إستراتيجيًا مع الولايات المتحدة الأمريكية!!**

أولاً: العوامل المؤثرة على الأداء العسكرى

١ ـ عدم خبرة وحنكة رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإسرائيلى، وانعكاس ذلك على الإعداد والتخطيط والإدارة الإستراتيجية للمواجهة العسكرية؛ حيث كان اتخاذ قرار بدء

الصراع سريعًا جدًا ودون دراسة كافية لأبعاده؛ حيث تحددت الأهداف ولم يتحدد حجم القوة المشاركة القادرة على تحقيق هذه الأهداف بما يتناسب مع حجم وقوة **«حزب الله»**، ودرجة استعداده وقدرته على إدارة الصراع، وتجهيزه المسبق لمسرح العمليات؛ مما انعكس على التخطيط والإدارة الإستراتيجية للصراع وأبعاده المختلفة!!

وقد نقلت الصحافة الإسرائيلية أنه فى مجلس الوزراء المصغر الذى اتخذ قرار المواجهة العسكرية ضد لبنان؛ كان **«شيمون بيريز» الوزير الوحيد الذى اعترض عليه، وكان سؤاله لرئيس الأركان «دان حلوتس» عن الخطوات التالية فقال: «إنه يفهم الخطوة الأولى والثانية»، ولكنه لا يفهم الثالثة والرابعة.. وجاء رد حلوتس معبرًا.. فقال: «إن الخطوة الثالثة مرتبطة بالخطوة الثانية، وإن الرابعة مرتبطة بالثالثة؛ وكلها مرتبطة بما يحدث على أرض الواقع.**

ومن المعروف عن رئيس الوزراء **«إيهود أولمرت»**، ووزير دفاعه **«عمير بيريتس»** أنهما ليس لهما سجل عسكرى حافل بالترويع والقتل والتدمير أسوة بباقى قيادات إسرائيل.. ومن هنا فإن **«إيهود أولمرت»** أراد أن يقدم أوراق اعتماده لشعبه بجدارة كرئيس دموى لا يقل - إن لم يكن قد تفوق - عن أحد عشر رئيسًا للوزراء سبقوه، كانوا جميعًا من العسكريين الذين قادوا الحروب، أما **«إيهود أولمرت»**؛ فهو رئيس وزراء من خارج العسكريين، وكل علاقته بالجيش لا تتجاوز الخدمة الإجبارية، التى أصيب فيها، وحولته إلى مراسل عسكرى، وبالتالى فقد انعكس ذلك على إدارته للمواجهة، وبصفه خاصة الجانب الانتقامى والتأديبى؛ ليثبت أنه ليس أقل دموية وعنفًا وإرهابًا ممن سبقوه!!

* اهتزاز ثقة المجتمع الإسرائيلى بقدرات القوات المسلحة على تحقيق الأمن المطلق للإسرائيليين، إزاء النجاح الذى حققته العملية الفدائية الفلسطينية وعملية **«حزب الله»**؛ حيث العملية الأولى التى تمت فى ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ قد نجحت فى مهاجمة موقع حصين، عبر حفر نفق تحت الأرض بطول ٤٠٠ متر، استمر إعداده وتجهيزه فترة ثلاثة شهور كاملة؛ مما أسفر عن مقتل اثنين من الجنود، وجرح سبعة، وأسر جندى إسرائيلى تم سحبه عبر النفق.. مما أبرز قدرة المقاومة الفلسطينية على القيام بعمليات صادمة للعدو، مع إمكانها التنسيق مع الأجنحة العسكرية الفلسطينية للقيام بعمليات مؤثرة على العدو الإسرائيلى، رغم كل ما يقوم به من إجراءات أمنية، أو ما يتمتع به من جهاز معلومات واستخبارات

متوغل . . ثم كانت العملية الفدائية الثانية التى نفذها حزب الله فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ ، والتى اخترقت الخط الأخضر وأسرت جنديين إسرائيليين ، وقتلت ثلاثة ، وأصابت واحداً وعشرين آخرين ؛ مما اعتبر انتصاراً تكتيكيّا لـ «حزب الله» وتأكيداً لاحتراف عسكرى عالى المستوى فى الإعداد والتدريب والتنفيذ ؛ مما أصاب غرور القوة والكبرياء الإسرائيلى الذى ارتكز على نظرية عدم قدرة العرب على المساس بأمنه وحدوده ، كما أصاب أجهزة المعلومات والمخابرات الإسرائيلية التى ادعت دائمًا بأنها من أفضل أجهزة المعلومات فى العالم على الإطلاق . .

* وفى مجال سرعة امتصاص موجة الغضب فى الشارع الإسرائيلى ؛ نفذت إسرائيل عملياتها العسكرية على مرحلتين : **المرحلة الأولى** : حملة جوية وبرية وبحرية وصاروخية لفرض حصار كامل برى وجوى ضد لبنان («الشعب والدولة والحزب») ، وعزله عن محيطه الإقليمى بهدف إيقاف ومنع أى إمدادات عسكرية إلى «حزب الله» ، سواء لتعويض خسائره أو لدعم عملياته العسكرية ، خاصة الصاروخية منها . **والمرحلة الثانية** : حملة برية ترتبط فى تنفيذها بمدى نجاح الحملة الجوية وقدرتها على فرض الأهداف الإسرائيلية ، خاصة تدمير قوات «حزب الله» ، وفرض تسليم سلاحه للدولة اللبنانية . وفى حالة عدم إمكان تنفيذ ذلك الهدف من خلال الحملة الجوية الصاروخية ؛ قد تدير إسرائيل حملتها البرية بعد أن تهيئ لها كل أسباب النجاح .

٢ ـ عدم وضوح الأهداف المخططة بين القيام بعمليات تأديبية واسعة ورادعة للدولة اللبنانية ، وبين تدمير القوة اللبنانية لـ «حزب الله» ، خاصة قوته الصاروخية ؛ بالقدر الذى يتحقق معه فرض نزع سلاحه وإبعاده خارج نهر الليطانى لتأمين الشمال الإسرائيلى .

ولعل من أبرز الأخطاء فى الإدارة العسكرية الإسرائيلية هو عدم تركيز الجهود الرئيسة للقوات المسلحة الإسرائيلية لتحقيق الهدف من عملياتها ، من خلال توفير الحشد اللازم من القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية والصاروخية فى عملية واحدة ، يتم تنظيم إعلان التعبئة اللازمة لها ، وإعطاء الفرصة الكافية لأجهزة التخطيط لإعداد التخطيط الإستراتيجى اللازم لتحقيق الهدف منها ، وتنظيم التعاون والتنسيق بين أفرع القوات المسلحة ، وتحديد مهام واضحة لها ، والتدريب المركز عليها ؛ حيث بدا أن الحملة الجوية الصاروخية كانت غير متسقة مع الهدف المعلن ، وبالتالى تم تركيز المجهود الرئيس لها على تدمير دولة لبنان بشكل عام قبل التركيز على تدمير القوة الرئيسة الصاروخية

لـ «حزب الله»، بالقدر الذى انعكس على إطالة زمن العمليات لمدة ٣٣ يومًا دون أن تحقق الحملة البرية الأهداف المخططه لها!!

٣ ـ إن غياب المعلومات وعدم دقتها عن قوة وحجم وتمركز قوات «حزب الله» وأماكن تجمع صواريخه، وأسلوب قتاله وإعداده وتجهيزه لمسرح العمليات؛ انعكس على الأداء العسكرى للقوة البرية؛ حيث اتسمت الحملة البرية بالتردد فى استدعاء الحجم والقوة المناسبة من جنود الاحتياط؛ لإحراز التفوق المناسب الذى يضمن نجاح العمليات، ثم التردد فى صياغة المهام للحملة البرية، بين تنفيذ عملية شاملة تكتسح الجنوب اللبنانى وتطرد قوات «حزب الله» خارج نهر الليطانى طبقًا للهدف المعلن، وبين القيام بعمليات محدودة مترددة.. وذلك نتيجة غياب المعلومات الكافية عن الجانب الآخر من ناحية، وعدم إعطاء الفرصة الكافية للتخطيط والتدريب من ناحية أخرى. وبالتالى لم يتم بلورة عمل عسكرى متكامل لتحقيق أهداف عسكرية محددة، وتردد الأداء العسكرى ما بين عمليات تأديبية، وعمليات ردع إستراتيجى، وبين مواجهة برية لقوة مدربة تدريبًا راقيًا على إدارة حرب عصابات، بالقدر الذى بدا فيه أن هناك انفصالاً بين أداء القوة الجوية الصاروخية ودورها فى تدمير دولة لبنان، وبين دورها لخدمة الأهداف العسكرية ضد «حزب الله».

٤ ـ تعدد المهام للقوات الجوية والبرية والبحرية بصورة تبدو غير خاضعة لتخطيط شامل متكامل؛ حيث إن عملية الإسقاط الجوى على مستشفى فى مدينة بعلبك، وإسقاط آخر على أحد المنازل بهدف اعتقال مواطن يدعى «حسن نصر الله»، اعتبرتهما إسرائيل إنجازًا كبيرًا تحصل به على رهائن من «حزب الله» حتى لو كانوا جرحى يعالجون فى المستشفيات، ثم كانت المجازر المتلاحقة؛ سواء «مذبحة قانا» أو غيرها؛ مما أبرز عمليات القوة المسلحة الإسرائيلية بأنها تبدو كردود أفعال، فى محاولة لتحقيق أى مكاسب من خلال خطف للرهائن أو عمليات المداهمة والاعتقالات، أو الاستهداف العشوائى للمدنيين؛ مما أدى إلى انتقادات واسعة النطاق، سواء داخل إسرائيل أو من المجتمع الإقليمى والدولى!!

٥ ـ فرض الأداء والاستعداد القتالى لقيادة وقوات «حزب الله» على القوات البرية الإسرائيلية تغيير أسلوب قتالها وتحركاتها؛ حيث كانت تدير عملياتها من خلال الاختراق السريع لمجموعات القتال المشكلة من القوات المدرعة والميكانيكية، والذى يصل لعمق ٣٠ كيلومتر فى يوم القتال الواحد، وذلك باستغلال عمليات المساندة الجوية والصاروخية،

وأعمال المدفعية بعيدة المدى؛ بالقدر الذى تتحقق فيه النتائج والأهداف فى فترات زمنية محدودة، وبأقل خسائر ممكنة.. إلا أن أعمال الكمائن والإغارات التى أدارها «حزب الله» بنجاح فرضت الترجل على القوات البرية الإسرائيلية، كما فرض أسلوب حرب العصابات وقتال التلاحم تحييداً للدعم النيرانى المكثف المطلوب من القوة الجوية الصاروخية، بالقدر الذى جعل من عمليات الاستيلاء على قرى «بنت جبيل ومارون الراس» وغيرها (والتى لا تبتعد سوى عدة كيلومترات من الخط الحدودى الأزرق)؛ عمليات مكلفة جداً من حيث الخسائر وتحقيق الأهداف.. بل وأصبح التقدم البرى فى الجنوب الليطانى لا يتجاوز عدة كيلومترات محدودة بالمقارنة بأسلوب القتال الذى اعتادت عليه القوات البرية الإسرائيلية..

هذا وقد أثرت طبيعة الصراع المسلح من حيث كونه صراعًا غير تقليدى لا يتم بين قوتين مسلحتين نظاميتين «جيوش ميدانية» محدد لكل منهما أهداف ومهام إستراتيجية، وبحيث تقاس درجات الهزيمة والنصر على مدى تحقيقها لهذه الأهداف والمهام والخسائر التى لحقت بهما على طريق ذلك التحقيق.. ومن هنا اعتبرت العمليات الإسرائيلية «مواجهة مفتوحة»، تعتمد بشكل رئيس على «إدارة القتال عن بعد»؛ حيث استخدمت إسرائيل قواتها الجوية والصاروخية والبحرية لتدمير كل الأهداف المدنية فى الدولة اللبنانية، مع ضمان عدم حدوث خسائر بشرية كبيرة لغياب القوة المضادة العسكرية القادرة على التصدى وإيقاف العدوان.

ثانيًا: تقييم الإدارة الإسرائيلية للعمليات العسكرية

فى ضوء العوامل المؤثرة على الأداء العسكرى الإسرائيلى؛ يمكن تأكيد عدة حقائق هامة لتقييم الإدارة الإسرائيلية للمواجهة العسكرية اللبنانية:

أولها: أن الاستخدام المفرط للقوة الجوية والصاروخية والبحرية الإسرائيلية مقابل عملية محدودة للغاية تم فيها خطف أسيرين؛ قد نجحت فى فرض حصار خانق على لبنان براً وبحراً وجواً، كما نجحت فى تدمير لبنان؛ مما يؤكد استمرار الإستراتيجية الثابتة طويلة المدى، التى تعتمد على ميزان القوى بينها وبين الدول العربية لفرض التفوق الدائم، الذى يمكن الدولة العبرية من تطبيق إستراتيجية الردع النفسى، التى هى جزء ثابت وراسخ فى

الفكر الإستراتيجى الإسرائيلى . . وأن حاجة «إيهود أولمرت» إلى استعادة هذه الإستراتيجية بفاعلية كبيرة هى التى دفعته إلى ممارسة هذا العقاب الجماعى الذى انتهى إلى تدمير لبنان، بالقدر الذى أعلن فيه الشيخ «حسن نصر الله» أنه لو كان يعلم رد الفعل الإسرائيلى لما قام بعملية خطف الأسيرين!!

ثانيها: لقد تأثرت الأهداف المطلوب تحقيقها بقصور استخبارى إسرائيلى، نتج عنه عدم اكتشاف أساليب قتال «حزب الله» وترسانته الحربية، وعدم تمكن القوة الجوية المتطورة تكنولوجيًا والمتقدمة كمًا ونوعًا من شل قدرة المقاومة ووقف إطلاق صواريخها على مدى ٣٣ يومًا هى كل مدة العمليات العسكرية، كما افتقرت المخابرات الإسرائيلية للمعلومات عن أوضاع تمركز وتحرك قوات «حزب الله»، والتعرف على مدى تجهيزها لمسرح العمليات من أنفاق ودشم وملاجئ؛ مما أدى إلى التخبط فى إدارة العمليات البرية، كما أن غياب المعلومات نتيجة الانسحاب الإسرائيلى من لبنان عام ٢٠٠٠ قد حرم إسرائيل من قاعدة بيانات كانت توفرها قواتها العاملة هناك، كما أن إطلاق الأقمار الاصطناعية وطائرات الاستطلاع لم تمكنها من سد هذا الفراغ. . وقد تجلى ذلك فى عدم القدرة على معرفة مواقع مقاتلى «حزب الله»، والفشل فى تحديد الأنفاق التى يخزن فيها «حزب الله» صواريخه، مع عدم تمكنها من الوصول إلى أى من قادة الحزب؛ مما أدى إلى فشل عملية الإسقاط الجوى الإسرائيلى، سواء فى مدينة بعلبك أو صور!!

ثالثها: الخسائر الاقتصادية الكبيرة[٢] التى نتجت عن إطالة زمن العمليات بالقدر الذى استدعى طوارئ البنك المركزى، وإجراء تعديلات فى الموازنة، والتغيير فى اتجاه معدل النمو الاقتصادى، فضلاً عن زيادة الإنفاق العسكرى، والذى قُدر بنحو ٢٢ مليون دولار يوميًا. كما تأثر قطاع السياحة والصناعة بنحو مليار و٢٠٠ مليون دولار، وأن قصف مدن الشمال لنحو أربعة أسابيع قد دمر نحو ٢٥ مصنعًا فى ٦٠ بلدة شمالية، منها خمسة مصانع أصيبت بأضرار بالغة، كما تم إغلاق نحو ٧٥٪ من مصانع مدن الشمال، إضافة إلى إغلاق ٣٥٪ من المصانع والمنشآت الصناعية فى حيفا وشمالها، وقد أصاب قطاع السياحة خسائر بملايين الدولارات؛ حيث كان متوقعًا أن تصل عائدات السياحة إلى ٣,٥ مليار دولار؛ حيث أصابت صواريخ «حزب الله» حوالى ٦٠٠٠ منزل بأضرار كلية أو جزئية، كما ألحقت أضرارًا بخمسين متجرًا.

وفى مجال الحرب النفسية؛ فهى تعنى محاولة[٣] السيطرة على عقل الخصم باعتبارها الطريق إلى السيطرة على أرواح وقلوب المقاتلين من ناحية، والجبهة الداخلية وجموع المواطنين من ناحية أخرى.. فإذا كانت أسلحة القتال تهدف إلى السيطرة على قوة العدو القتالية؛ فإن الحرب النفسية هى الوسيلة غير المباشرة التى تهدف إلى السيطرة على العقل والروح المعنوية.

وقد خططت إسرائيل إستراتيجيًا لـ **«حرب نفسية»** للتأثير على الدعم الشعبى لحركة المقاومة التى يقودها الشيخ **«حسن نصر الله»**، معتمدة على ما واكب العمليات العسكرية من انقسامات للتيارات المختلفة داخل لبنان، وانتشار الدعاية التى استهدفت انفراد حزب الله بقرار **«الحرب والسلام»** فى لبنان، من خلال دوافع ليست وطنية خالصة؛ مما يشجع على تنامى التيار المطالب بنزع سلاح المقاومة، ودمجه فى قوات الجيش اللبنانى، وتوحيد قرار الحرب والسلم فى يد الحكومة الشرعية المركزية فى لبنان.

ومن هنا **فقد ركز التخطيط الإستراتيجى العسكرى الإسرائيلى** على استهداف المدنيين، وتدمير المبانى والمنشآت الاقتصادية والإستراتيجية؛ لدفع الشعب اللبنانى إلى التخلى عن المقاومة؛ حيث بدأت العمليات العسكرية الإسرائيلية بحصار خانق للموانئ والمطارات والمحاور والجسور والطرق، التى تعزل لبنان عن محيطها الإقليمى والدول المجاورة القادرة على الدعم ـ خاصة بالسلاح ـ وذلك لنشر اليأس والإحباط لدى رجال المقاومة وأبناء الجنوب اللبنانى، لفقدهم خطوط الإمداد والتحرك، ووسائل الإمداد بالاحتياجات الرئيسة؛ ليست فقط اللازمة لاستمرار نجاح العمليات العسكرية، بل أيضًا للاحتياجات الإنسانية!!

هذا **وقد ركزت القوة الجوية الإسرائيلية** على استخدام أسلحة وإلقاء قنابل تحدث دويًا كبيرًا لتضخيم الأثر المعنوى لدى الشعب، وكان ذلك واضحًا فى القصف المتكرر للضاحية الجنوبية للتأثير على باقى المناطق وأحياء بيروت المجاورة.

كما **ركزت القيادة العسكرية الإسرائيلية** على نشر الشائعات، سواء منها الخاصة بسقوط المدن والقرى، أو الخاصة بالقبض على خلايا المقاومين، وإشاعة القبض على الشخصيات القيادية فى **«حزب الله»**!!.. كما سعت وسائل الإعلام المعادية إلى تصوير انهيار وانتهاء المقاومة، عن طريق بث معلومات عن احتلال قرى **«مارون الراس وبنت جبيل»**، وتدمير

نسبة عالية من منصات الصواريخ ومراكز قيادة المقاومة . . كما بالغت فى تصوير خزانات الوقود المشتعلة لبث الرعب فى نفس المواطن اللبنانى ! !

وعلى طريق تنفيذ أهداف حربها النفسية حملت إسرائيل مسئولية نتائج جرائمها (التى تمثلت فى تدمير البنية التحتية والاقتصادية، والمنشآت الحيوية اللبنانية، وفرض نزوح الآلاف من أبناء الضاحية الجنوبية، وارتكاب المجازر المتتالية ضد المدنيين من شيوخ ونساء وأطفال) إلى المقاومة اللبنانية المتمثلة فى **«حزب الله»**، التى خاضت من وجهة النظر الإسرائيلية **«مخاطرة غير محسوبة»** بقيامها بالعملية الفدائية التى انتهت بخطف جنديين إسرائيليين وقتل وإصابة آخرين . . **كما هدفت تلك الحرب النفسية إلى إحداث فجوة بين المقاومة اللبنانية والشعب اللبنانى، بما ينتهى إلى تكوين رأى عام لبنانى كاسح يفرض نزع سلاح المقاومة وإبعادها عن الجنوب اللبنانى** . وقد ألقت القوات الجوية الإسرائيلية عدة ملايين من المنشورات لتحقيق هذا الهدف، كما استغلت الاتصالات المباشرة من خلال الهواتف المحمولة بأفراد الشعب اللبنانى، ثم الآلة الإعلامية واسعة الانتشار التى روجت لتلك الأهداف . .

ويبقى التساؤل فى مجال تقييمنا لهذه الحرب النفسية . . **هل نجحت فى تحقيق أهدافها؟؟** . .

إن الحقيقة التى أكدتها الأحداث على الساحة اللبنانية هو المزيد من التمسك بخيار المقاومة، وفشل وسائل الحرب النفسية فى إقناع الشعب اللبنانى ـ بل والشعب العربى من ورائه ـ بما استهدف تحقيقه؛ فتعاطف الجميع مع المقاومة، كما أن الشعب اللبنانى الذى عرف بتعدد طوائفه قد توحد خلف المقاومة بدلاً من التخلى عنها، وأجلت الجماعات المختلفة مع «حزب الله» خلافاتها لحين انتهاء الصراع المسلح . . ورغم معاناة الشعب اللبنانى جراء القصف الإسرائيلى الذى أثر على جميع نواحى حياته، إلا أنه استطاع أن يدرك الهدف الإسرائيلى . ولم يتنكر للمقاومة، ويلقى اللوم عليها؛ بل ازداد تمسكًا بها منهجًا وأسلوبًا حتى تمام تحرير كامل التراب اللبنانى من الاحتلال الإسرائيلى .

قالت الكاتبة **«كارولين جليك»** فى مقال لها فى صحيفة **«الجيروزاليم بوست»** : «بعد أن منيت إسرائيل بالهزيمة فى حربها على لبنان؛ اندلعت نداءات من جميع القوى السياسية الإسرائيلية تطالب بإنشاء لجنة تحقيق رسمية لتقييم إدارة **حكومة أولمرت** للحرب على لبنان؛ لأن ما حدث هو أن **حكومة أولمرت قد فشلت على جميع المستويات فى إدارة هذه**

الحرب.. ويجب على الشعب الإسرائيلى الخروج إلى الشوارع، ومطالبة نوابه بطرد رئيس الوزراء ووزير دفاعه ووزير خارجيته وزملائهم من الحكومة».

واستطردت تقول[٤]: «لقد كانت كل أشكال مواجهة الحكومة للحرب نموذجًا للفشل؛ فقد أخفقت ـ على سبيل المثال ـ فى اتخاذ إجراءات جادة لتخفيف المعاناة، بعد أن تجاهلت لمدة خمسة أسابيع الكارثة الإنسانية بشمال إسرائيل، الذى يوجد به أكثر من مليون إسرائيلى تحت الهجوم الصاروخى، ولم تطور الحكومة أى خطة متكاملة لتنظيم مجهودات تخفيف المعاناة الخاصة بإطعام المواطنين، الذين مكثوا فى الخنادق خوفًا من القصف أو لإجلائهم، إضافة إلى الفشل العسكرى الذريع؛ حيث تعانى وزارة الدفاع الإسرائيلية من فشل حاد فى قيادتها، تلك القيادة التى أتى بها إلى السلطة **«إيريل شارون»**.. إن النموذج الذى اتبعته القيادة العسكرية الإسرائيلية فى حربها الجوية كان خاطئًا.. وكان يجب الإسراع باستدعاء الاحتياط وشن هجوم برى وجوى متكامل.. ولكن الحكومة لم تشعر بتلك المسئولية، وأرادت أن تكسب الحرب بأبخس الأثمان.. وعندما غضب الشعب بعد انتظار أسبوعين استدعت قوات الاحتياط، ثم انتظرت عشرة أيام أخرى قبل دفعهم إلى القتال. وعلى طريق استمرار السخط الشعبى من أداء الحكومة والمؤسسة العسكرية؛ كانت المطالبة المتكررة والمستمرة بإقالة حكومة أولمرت التى قيل عنها: **«إنها حكومة فاشلة مخجلة ليس فقط لأنها ألحقت بإسرائيل أسوأ هزيمة فى تاريخها، ولكن لأن كل يوم يمضى تجلس فيه هذه الحكومة على كراسى السلطة يفاقم من الخسائر التى سببتها، ويزيد من المخاطر التى تتعرض لها إسرائيل»!!**

إننا نحتاج إلى لجنة لتحديد ما نحتاج أن نفعله لأن فشل «حكومة أولمرت» كان ملحمة عظيمة تنتظرنا بعد تعاظم خطر مرور كل ساعة وهذه الحكومة فى السلطة؛ ولذا يجب أن تستبدل هذه الحكومة الفاشلة بأخرى تستطيع الدفاع عنا.

هذا وقد كتب **«يونيل ماركوس»** المحلل العسكرى الإسرائيلى عن فشل إسرائيل فى حربها ضد **«حزب الله»** فقال: **«ما الذى دفع الجيش ورئيس أركانه إلى إقناع الحكومة المبتدئة نسبيًا فى الشروع فى حرب شاملة خلال ساعات من اختطاف جنديين من جنودنا»..**

فالجيش الذى لا يقهر خرج مهزومًا، رغم أنه يمتلك أكبر ترسانة قتالية متطورة.. أخفق أمام جنود «حزب الله» حتى صار المنشود منها وقف القتال.. الجيش الذى استخدم

قوته العسكرية الجوية والبحرية والبرية أخفق فى الإفراج عن الجنديين الإسرائيليين الأسيرين من «حزب الله» ؛ وهو الهدف المعلن للحرب» .

كشف تقرير دبلوماسى أمريكى معلومات قدمتها قيادة أركان الجيش الإسرائيلى لحكومتها تؤكد أن القوات الإسرائيلية على جبهة القتال استنفذت نسبة ٩٠٪ من ذخائرها ؛ مما اضطر قيادة الأركان فى الجيش الإسرائيلى لفتح مخازنها المخصصة للطوارئ لاستخدام الذخائر من الصواريخ والقنابل . .

كما أعلن النائب **«يوفال ستايتس»**[٥] لصحيفة **معاريف الإسرائيلية : «إن قبول الحكومة الإسرائيلية لوقف إطلاق النار يجب أن يجبرها على الاستقالة لأنها أعطت نصرًا» لحزب الله : «ولكل الذين يطالبون بتدمير إسرائيل » . . كما أكد الخبراء والمحللون والسياسيون «أن الدولة العبرية وجيشها فقدت فى حرب الثلاثة والثلاثين يومًا ضد لبنان «القوة الرادعة» إلى الأبد . . الأمر الذى سيجعل فصائل المقاومة بمختلف أشكالها قد تلحق الهزيمة بهذا الجيش ! ! . .**

تلك كانت بعض التحليلات التى أوردتها أجهزة الإعلام عن آراء كبار المحللين والسياسيين والمفكرين الإسرائيليين حول أداء القوات المسلحة الإسرائيلية فى عملياتها ضد لبنان .

وفى النهاية أشير إلى حقيقة مؤكدة تتمثل فى إجابة التساؤل الآتى : **ما الذى حققته الحكومة الإسرائيلية من أهداف تميز بها بين النصر والهزيمة . . ؟؟ وفى مجال إجابتنا نقول إن إسرائيل قد أعلنت عن أربعة أهداف أدت إلى شنها لعملياتها العسكرية : أولها** : عودة الجنديين الأسيرين اللذين أسرهما **«حزب الله»** . . **وثانيها** : تدمير القدرة الصاروخية والبشرية لـ **«حزب الله»** وتحصيناته وقتل أو أسر قياداته الرئيسة . . **وثالثها** : احتلال الجنوب اللبنانى حتى نهر الليطانى . . **ورابعها :** إنشاء منطقة آمنة على حدود إسرائيل ، وإنشاء قوة دولية متعددة الجنسيات تعمل طبقًا للبند السابع على الحدود اللبنانية .

. . فهل نجحت إسرائيل فى تحقيق هذه الأهداف؟

لقد نجحت إسرائيل فى تدمير الدولة اللبنانية ، وذلك بإلقاء أكثر **من حجم قنبلة نووية على لبنان ؛ مما يعنى**[٦] **إسقاط أكثر من ٢٠ ألف طن مواد متفجرة** ؛ الأمر الذى أدى إلى تدمير البنية التحتيه تدميرًا شاملاً ، وأدى إلى نزوح[٧] حوالى مليون لاجئ ، وما يقرب من

ألف وأربعمائة قتيل، وآلاف الجرحى، إضافة إلى تدمير خمسة وخمسين من الكبارى، وتدمير مطار بيروت وموانئ طرابلس وصيدا، إلى جانب تدمير أغلب أحياء العاصمة اللبنانية ومركز لتصنيع الألبان، والعديد من ثكنات الجيش اللبنانى فى الجنوب، وعدد كبير من المدارس والمستشفيات ومراكز مساعدات الأمم المتحدة، ومقار التليفزيون، بالقدر الذى هدد بكارثة إنسانية، وجعل من هدف تدمير الدولة أهم من تدمير **«حزب الله»** وإبعاده عن الجنوب اللبنانى؛ والذى كان الهدف الرئيس من العمليات العسكرية الإسرائيلية، والذى كان من الواجب تركيز كافة الجهود الرئيسة للقوات المسلحة الرئيسة لتحقيقه، خاصة مع عمل هذه القوات على جبهتين فى وقت واحد: **«الجبهة الفلسطينية والجهة اللبنانية»**؛ الأمر الذى أدى إلى سعى الولايات المتحدة (الشريك المباشر فى العمليات) إلى الضغط على مجلس الأمن الدولى لاستصدار **«القرار رقم ١٧٠١»**، الذى حقق لإسرائيل سياسيّا ما لم تستطع تحقيقه عسكريّا.

***

الهوامش :

١ ـ أنتونى كوردسمان . . بعد العاصفة . . ترجمة وإصدار : دار الهلال، ١٩٩٤ .

٢ ـ ضربة قاصمة للاقتصاد الصهيونى، مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٧٥١، بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٠٦ .

٣ ـ لواء طلعت مسلم : الحرب النفسية الصهيونية مثال على الفشل، مجلة للمجتمع، العدد ١٧١٥، بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦ .

٤ ـ تقرير أحمد أبو صالح، **جريدة الأسبوع**، العدد ٤٩١، ٢١ أغسطس ٢٠٠٦ .

٥ ـ إيمان مأمون، صرخة الشارع الإسرائيلى، **صحيفة الأسبوع**، العدد ٤٩١ بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠٠٦ .

(٦) تصريح لرئيس مجلس النواب اللبنانى «نبيه برى» خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية خلال العمليات فى بيروت فى ٢١/ ٨/ ٢٠٠٦ .

(٧) أنطونيو فيرارى، جريدة الجرائد العالمية، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٩٩٣ .

***

٤ ـ حزب الله بين «الوعد الصادق وتغيير الاتجاه» (نموذج لجيل رابع من الحروب) (*)

عميد: أ.ح. محمد صفوت الزيات(**)

مقدمة

ما من حرب تخاض دون أهداف سياسية . .

وما من حرب تخاض دون جرد لحسابها الأخير . .

وأحسب أن المساحة التى عبرت إلى الآن منذ انتهاء أحداث الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان فيما سمى بـ«عملية تغيير الاتجاه ـ Change of Direction»، والتى انطلقت فى الثالث عشر من يوليو ٢٠٠٦ وتوقفت فى الرابع عشر من أغسطس من ذات العام؛ هى مساحة ليست كافية لسبر غور تلك الأهداف والتحقق من تلك النتائج؛ حيث يبقى هناك خلف الجانب الآخر من التل ـ على حد قول المؤرخ الشهير «ليدل هارت ـ Liddle Hart» ـ شىء ما يتكفل الزمن والجهد غير المتحيز سياسيًا وأيدولوجيًا فى الكشف عنه، هذا رغم الإقرار بدفق البيانات والدراسات التى صدرت عن وسائل إعلام وأوعية فكر شاب الكثير منها تناقض وعدم دقة؛ بل وتحيز فى بعض الأحيان؛ فقد صدرت عن جهات بعينها هى بطبيعتها ضد كل ما هو عربى، وإن كان الأمر فى هذه المرة قد تحول من مشكلة إلى معضلة، باعتبار إسهامات عربية شاركت بجهد وأحيانًا بحماس مع تلك الجهات.

لكن المؤكد أننا فى هذا الصيف الحار من العام ٢٠٠٦ كنا أمام حرب أفرزتها لحظة تحول ـ وليس مجرد تغيير ـ لم يدركها الكثيرون؛ تلك التى مثلتها «ثورة الشئون العسكرية ـ Revolution in Military Affairs (RMA)» من خلال إرهاصاتها الأولى فى مطلع

(*) نص مفرَّغ.

(**) الخبير بالشئون العسكرية والإستراتيجية.

الثمانينيات من القرن المنصرم بجناحيها التقنى العسكرى والسياسى العسكرى (الإستراتيجى). فعلى الجناح الأول (التقنى العسكرى) ترسخ تفوق أمريكى غير مسبوق فى تقنية المعلومات ونظم التسليح ودمجهما معًا؛ الأمر الذى عبر عنه فى العام ١٩٨٣ تدشين الرئيس الأمريكى آنذاك رونالد ريجان لمبادرة الدفاع الإستراتيجى، وما تلاها من تطوير وحيازة لأدوات الهيمنة على ميادين المعارك التقليدية، فى إطار «حروب الجيل الثالث ـ Third Generation War (3GW)» والتى اشتملت على أنظمة قيادة وسيطرة واتصالات وحاسبات واستخبارات C4I متطورة، توفر تفوقًا على الخصم فى الوعى بالموقف الميدانى، وسبقًا فى دائرة اتخاذ القرار، وأنظمة تسليح تحوز قدرات تدميرية هائلة، باعتبار الحجم والدقة، فضلاً عن درجة بقائية عالية، باعتبار «الإطلاق البعيد ـ Stand off» وتقنيات «الإخفاء ـ Stealth»، هذا بالإضافة إلى مستويات حركية فائقة توفر المناورة العالية بالقوات فى المكان والزمان الملائمين.

على الجناح الثانى الإستراتيجى جاء التراجع السوفيتى عن دور القوة العظمى الثانية وئيدًا، وإن كان مؤكدًا.. وعلى التوازى مع إيقاع تصاعد الهيمنة الأمريكية بدت معه رياح تغييرات سياسية هائلة، تعصف أول ما تعصف بأوروبا الشرقية، ثم تتجاوزها إلى أصقاع العالم.. وكان ذلك مؤشرًا ليس فقط لخلل فى الميزان الإستراتيجى الكونى الذى ساد إبان أربعة عقود هى عمر الحرب الباردة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية؛ ولكنه مؤشر ـ وهذا هو الأهم ـ إلى أن قيود التدخل فى شئون الدول الصغيرة التى طالما حكمتها اعتبارات التوازن بين القوتين العظميين قد تكسرت، وبات متاحًا أن توظف أدوات هيمنة الجناح الأول فى هذه الثورة دون قيود لتأمين مصالح كونية للقوة العظمى المنفردة عالميًا، عبر المبادرة بإدارة صراعات مسلحة تقليدية، فى مواجهة وعلى حساب الدول الصغيرة. وأحسب أن العام ١٩٩١ كان مفصليًا فى الإقرار بحقيقة وواقع هذه الثورة فى الشئون العسكرية؛ ففى شهره الأول قدمت الولايات المتحدة استعراضًا ميدانيًا غير مسبوق فى مستويات الهيمنة التى أصبحت عليها فى ميادين المعارك التقليدية إبان «عملية عاصفة الصحراء ـ Operation Desert Storm» ضد العراق، وفى شهره الأخير جاء انهيار الاتحاد السوفيتى تأكيدًا على الأوضاع الإستراتيجية المريحة لقوة عظمى متفردة فى نظام دولى فريد.

غير أنه وعبر الأفق البعيد لهذا المشهد؛ كان يبدو ـ بسبب عوامل عدة ليس أقلها حقائق الثورة فى الشئون العسكرية ـ بروز أنواع جديدة من التهديدات، ارتبطت بحركات تمرد شعبية من نوع «الفاعلين من غير الدول ـ non - state actors» أدركت عن يقين حقائق هذه الثورة، واستعملت عن جدارة أدوات ظاهرة العولمة التى واكبتها، وقررت مواجهة واقع الهيمنة التى عليها هذه القوة العظمى ومن يدور فى فلكها، بوسائل وأساليب تتجنب مصادر القوة التقليدية لخصومها؛ بالعمل كثيرًا «أسفل» وأحيانًا «أعلى» من مجال ذلك التفوق؛ أى بصورة لا تتماثل مع خصومها الأقوياء؛ وهو ما أصبح يعرف بـ «الحرب غير المتماثلة ـ Asymmetric Warfare»، أو ما أصبح يطلق عليه فى سياق تطور الصراعات المسلحة بـ «حروب الجيل الرابع ـ Fourth Generation War (4 GW)».

وأحسب عن يقين أننا فى هذه الحرب كنا أمام طرفين يتصارعان بمفاهيم حروب مختلفة، أحدهما (وهو الطرف الإسرائيلى) بحكم التحالف والرعاية الإستراتيجية للدولة الأم صاحبة الثورة فى الشئون العسكرية؛ تصور واقع أدوات الهيمنة العسكرية الجبارة التى يحوزها فى إطار حروب الجيل الثالث (3 GW) هى فرصة عمره لإنهاء تهديد الطرف الآخر مرة واحدة وإلى الأبد، أما الطرف الآخر (حزب الله) وبحكم إدراكه العميق لمجال تفوق الخصم تقليديًا فقد آثر المواجهة غير المتماثلة فى إطار حرب الجيل الرابع (4GW)، التى يبدو أن الدولة الأم ـ ومن ثم الطرف الذى فى مواجهته ـ لم يكونا يدركان ماهيتها ولا عمق تأثيرها، ربما بواقع غرور القوة أو بحقيقة الجهل والتجاهل معًا!

إذن كنا أمام أزمة صنعها طرف أضعف، وصعدها الطرف الأقوى إلى حرب لا حدود لها... كنا أمام جنرال حلق عاليًا فى السماء ليحسم الحرب من أعلى، فى مواجهة عمامة حفرت وتخندقت ورأت أن حسم الحرب سيكون على الأرض. كنا أمام طرف يرى الحرب أكثر تقنية، وطرف يرى الحرب أكثر إنسانية، كنا أمام فاعل من نوع الدولة/ الأمة (تجاوزًا) كان ولا يزال منبهرًا بـ «الطريقة الأمريكية فى الحرب ـ American way of war» التى رسخت واقع الهيمنة العسكرية فى ميادين حروب الجيل الثالث (3 GW)، وبأن الحرب تصنع الدولة كما أن الدولة تصنع الحرب باعتبار امتلاكها واحتكارها لأدوات العنف.

كما كنا أمام فاعل من نوع غير الدولة أدرك بعمق مدى الهيمنة العسكرية للخصم فى مجال القتال التقليدى فى ميدان المعركة، بقدر ما أدرك أن آفاقًا واعدة متاحة للتعامل

والبقاء معًا فى وجه هذه الهيمنة، عبر استيعاب جاد ومثابر لحروب غير متماثلة هى دون شك حروب الجيل الرابع (4 GW) القادم. . ومن المؤكد أنه السائد ما بقى النظام الدولى القائم على حاله.

لعل هذه المقدمة المدخل لهذه الورقة البحثية حول حزب الله من منظور الإستراتيجية والقدرات؛ تؤشر إلى السعى لبناء إطار فكرى حول هذه الحرب وذلك الطرف؛ وهو الأمر الذى يفرض استعراضًا لنقاط أربع:

الأولى: الحرب الإسرائيلية على لبنان: مراجعة للأهداف والنتائج.

الثانية: فى مفهوم حروب الجيل الرابع (4 GW).

الثالثة: الطرف الإسرائيلى فى الطريق إلى عملية تغيير الاتجاه.

الرابعة: حزب الله: الإستراتيجية والقدرات العسكرية.

أولاً: الحرب الإسرائيلية على لبنان: مراجعة للأهداف والنتائج

شنت إسرائيل «حرب اختيار ـ optional war» وليس «حرب ضرورة ـ war of necessity» ردًا على هجوم محدود لحزب الله فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ أسر خلاله جنديين إسرائيليين كانا فى دورية على الحدود الشمالية قرب لبنان. وعلى مدى ٣٣ يومًا أدارت حملة عسكرية كبيرة اعتمدت فى غالبها على سلاح الجو الإسرائيلى الذى نفذ حوالى ١٥,٥٠٠ طلعة هاجم خلالها ما يقارب ٧,٠٠٠ هدف شملت البنية الأساسية القيادية والعسكرية لحزب الله، وجزءًا كبيرًا من الدولة اللبنانية، فى الوقت الذى ألحقت فيها حوالى ٣٠,٠٠٠ من جنودها النظاميين والعاملين داخل الجنوب اللبنانى، مدعومة بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ قذيفة ميدانية من المدفعية والدبابات، فى مقابل ذلك تلقت إسرائيل فى العمق دفقات إطلاقات صاروخية لم تتوقف من **«حزب الله»** على مدى أيام الحرب، بلغت فى إجمالها حوالى ٣,٩٧٠ صاروخًا.

بيانات الخسائر البشرية يشوبها قدر كبير من عدم الدقة؛ حيث يشير الإسرائيليون إلى خسارتهم لـ١٩٩ جنديًا و٤١ مدنيًا، وإلى تكبيدهم حزب الله خسائر بلغت ٥٠٠ مقاتل، بينما تؤكد مصادر حزب الله على خسارة ٧٠ مقاتلاً فقط، فى الوقت الذى تشير فيه تقديرات الحكومة اللبنانية إلى مصرع ١,١١٥ من المدنيين اللبنانيين.

وضعت إسرائيل ـ وفقًا للمتاح من الأدبيات الإسرائيلية ـ خمسة أهداف عند ذهابها لهذه الحرب الاختيارية، سنعرض لها مختصرًا، مع تقييم ما تحقق منها على خلفية النتائج التى انتهت إليها الحرب.

١ ـ تدمير «القيادة الغربية الإيرانية» قبل وصول إيران إلى الحافة النووية

قصدت إسرائيل بتعبير «القيادة الغربية الإيرانية» حزب الله، باعتبار ارتباطاته المذهبية والعسكرية بإيران، واحتمال توظيفه فى حال نشوب صراع مسلح مع الأخيرة، أو بدونه فى شن ضربات صاروخية فى العمق الإسرائيلى، لا يستبعد فيها استخدام رءوس حربية غير تقليدية قد تشمل رءوسًا نووية فى حال حيازة إيران المحتملة لها.

فى المحصلة النهائية لنتائج الحرب يبدو أن إسرائيل لم تحقق هذا الهدف لاعتبارات عدة من أبرزها:

* مع التسليم بنجاح سلاح الجو الإسرائيلى فى تحجيم القدرات الصاروخية متوسطة وبعيدة المدى (٤٠ ـ ٢٢٠ Km) بتدمير جزء كبير من منصات الإطلاق فى الأيام الأولى للحرب؛ فإن ذلك لا يمنع استمرار توافر هذا التهديد لدى **«حزب الله»**، على أساس أن تقديرات إسرائيلية تشير إلى وجود منصات لم تستخدم وبأعداد غير معروفة، وبأن أنظمة صاروخية أكثر تطورًا وأبعد مدى (خاصة سلسلة Zelzal ٣/ ٢) تم الاحتفاظ بها تحسبًا لجولة أخرى، وربما تحت ضغوط إيرانية كنوع من الانضباط التكتيكى.

* إن إيران وسوريا قادرتان على تسريب أعداد معقولة من هذه الصواريخ عبر الحدود البرية السورية مع لبنان التى يصل طولها لحوالى (٣٧٥ Km) والتى يصعب إدامة مراقبتها ٢٤/ ٧ لصعوبة تضاريسها؛ ومن ثم تخزينها شمال منطقة عمليات الجيش اللبنانى وقوات اليونيفيل جنوب الليطانى.

* إن سوريا يمكنها تولى تخزين الأنظمة الصاروخية متوسطة وبعيدة المدى باعتبارها عمقًا إستراتيجيًا لحزب الله؛ انتظارًا لدفعها إلى مناطق عمليات حزب الله عند توتر الأوضاع العسكرية بين الأخيرة وإسرائيل.

* الاعتراف الإسرائيلى بفشل مواجهة القدرات الصاروخية قصيرة المدى، حتى ٤٠ كيلومترًا ـ الكاتيوشا بنماذجها العادية والممتدة المدى؛ حيث تشير التقديرات

الإسرائيلية إلى أن المتبقى لدى حزب الله لا يقل عن ٧,٠٠٠ صاروخ من أصل ترسانة بلغت تقديراتها بين ١٠,٠٠٠ ـ ١٦,٠٠٠ صاروخ فى بداية الحرب.

٢ ـ استعادة مصداقية الردع الإسرائيلى بعد انسحابات أحادية من جنوب لبنان وقطاع غزة أشرت لضعف وإجبار على الرحيل

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب محل جدل عميق وقائم بين نجاح وفشل إسرائيل فى تحقيق هذا الهدف؛ حيث:

* يرى المؤيدون للنجاح أن الرغبة الإسرائيلية فى التصعيد ومستوى الخسائر المحققة فى الجانب اللبنانى (١١١٠ قتلى، ٣,٧٠٠ مصاب، ٩٨٠,٤٠٠ مهجر، إضافة إلى تكاليف خسائر مادية تراوحت بين ٢,٤ ـ ٦ مليار دولار)، والمناعة النسبية لسلاح الجو الإسرائيلى هى فى مجموعها عوامل ستردع أى قيادات عربية محيطة عن التفكير فى تشكيل تهديد جدى تجاه الدولة العبرية.

* يرى المؤيدون للفشل الإسرائيلى فى هذا الجانب أنه لأول مرة يتضح انكشاف إسرائيل وتعرضها لضربات فى العمق استهدفت المجتمع المدنى، وعجزت عن التصدى لها أو احتوائها حتى اللحظات الأخيرة، التى بدأ عندها سريان وقف إطلاق النار، وأن مستوى الخسائر البشرية والدمار الذى لحق بالخصم لم يفتح سوى مزيد من الكراهية، وربما تعبئة أكثر لأجيال من المتطوعين العرب لقتال إسرائيل، فى الوقت الذى أضعف بالفعل أنظمة عربية معتدلة وداعمة للسلام أمام شعوبها، وأجبرها على التراجع عن مواقف بدت فى بدايات الحرب أكثر تفهمًا لأفعال الجانب الإسرائيلى.

٣ ـ دفع لبنان أن تتصرف كدولة مسئولة تضع نهاية لوضع «حزب الله» كدولة داخل الدولة

يبدو فى المحصلة النهائية لنتائج الحرب أن إسرائيل لم تحقق شيئًا يذكر على هذا الصعيد باعتبار الحقائق التالية:

* إن «حزب الله» حركة اجتماعية ذات قاعدة عريضة شديدة التأصل فى المجتمع الشيعى؛ الكيان الأكبر بين الكيانات الـ١٧ المكونة للنسيج الاجتماعى اللبنانى.

* إن «حزب الله» رغم احتفاظه بقدرات تنظيمية وعسكرية؛ أظهر حرصًا بالغًا على تجنب الانزلاق إلى مخاطر مواجهات عنيفة داخلية، والبقاء على دوره المقاوم المثابر لاسترداد الحقوق الوطنية للدولة فى مواجهة إسرائيل.

* إن الحكومة اللبنانية حتى ومع صدور القرار الأممى ١٧٠١ الذى وضع نهاية للحرب، وأعاد التأكيد على نزع سلاح «حزب الله»؛ لم تبادر باتخاذ أى إجراءات من جانبها، سواء لنزع هذا السلاح، أو التشديد على عزل أو منع إعادة الإمداد بالسلاح لهذا الحزب؛ إدراكًا منها لبروزه. وطائفة الشيعة كجماعة سياسية وقوة رئيسة فى لبنان يصبح الاقتراب منها مخاطرة بحرب أهلية ترفضها بحكم التجربة وغير قادرة على مواجهتها بحكم الواقع.

* إن الحظر الذى فرضه القرار الأممى ١٧٠١ سواء على تواجد الحزب جغرافيًا فى المنطقة جنوب الليطانى، أو على توريد السلاح له؛ لا يمثل فى واقع الأمر محددات ذات قيمة على الوضع العسكرى للحزب، باعتبار أن مقاتليه من بين قاطنى المنطقة العائدين إليها فور توقف القتال، وباعتبار أن ما يقرب من ٥٠٪ من عناصر الجيش اللبنانى هو من طائفة الشيعة، وباعتبار أن الحزب يعمل دون قيود فى المنطقة شمال الليطانى، التى أطلق منها دفقات الصواريخ متوسطة المدى التى أحدثت أكبر الضرر إبان الحرب.

٤ ـ تحطيم أو شل القدرات العسكرية لـ «حزب الله»

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب أن إسرائيل لم تلحق أضرارًا كافية ولم توفر بيئة مانعة لـ «حزب الله» من الحصول على أنظمة تسليح قد تكون أفضل وأكثر مدى فى المستقبل؛ وذلك للاعتبارات التالية:

* إن إسرائيل اعتمدت إستراتيجية «من الجو» التى بالغت فيها فى قدرة سلاح الجو الإسرائيلى على تحطيم القدرة العسكرية للحزب، الذى أجاد عمليات الانتشار والتحصين وانتظار المعركة البرية.

* إن إسرائيل فى معظم حملتها البرية اقتصرت على شريط ضيق من الأرض لم يتعد عمقه الـ (٦ Km) أدارت فيه معركة مطولة ضد الدفاعات الأمامية لـ «حزب الله» لحرمانه من خط رؤية داخل إسرائيل، فى الوقت الذى أعاد مقاتلو الحزب هجماتهم المضادة على ذات الدفاعات التى فقدوها.

* إن حزب الله الذى توافرت لديه قوة قتالية احترافية تتراوح بين ٤,٠٠٠ ـ ٥,٠٠٠ مقاتل، ومع افتراض صحة الادعاءات الإسرائيلية بخسارته لحوالى ٥٠٠ مقاتل من هذه القوة؛ قد خرج من الحرب بمستوى بقائية يزيد عن الـ٨٠٪ من قوته الاحترافية، وباعتبار امتلاكه لقوة من الاحتياطى تتراوح بين ٦,٠٠٠ ـ ١٠,٠٠٠ من المقاتلين فإن قدرته على الاستعواض ورفع الكفاءة القتالية للمقاتلين الجدد تصبح ممكنة خلال فترة لا تتجاوز الـ٣ شهور.

* إن عوامل مثل صعوبة عزل إعادة الإمداد بالسلاح والعتاد، وتوافر مصادر تسليم لديها برامج واعدة خاصة فى الأنظمة الصاروخية بمداياتها القصيرة والمتوسطة والبعيدة، إضافة إلى أنظمة الصواريخ الفردية المضادة للدروع والطائرات؛ هى فى مجموعها تعيد التأكيد على صعوبة تحقيق مثل هذا الهدف حتى فى المستقبل المنظور.

٥ ـ استعادة الجنديين الأسيرين دون مبادلات بأسرى عرب فى السجون الإسرائيلية

تبدو المحصلة النهائية لنتائج هذه الحرب مشيرة لفشل إسرائيل الكامل حتى فى الاقتراب من تصور حل آخر خارج إطار المبادلات التى طرحها الأمين العام لحزب الله السيد/ حسن نصر الله منذ اللحظة الأولى لنشوء الأزمة وليس لاندلاع الحرب. إلا أن الأمر اللافت فى هذا المجال يؤشر إلى الحساسية البالغة التى أصبح عليها الإسرائيليون فى مسألة تقبل الخسائر البشرية، والذى يتضح ليس فقط فى شن حرب بهذا المستوى من العنف؛ وإنما أيضًا لعزوفهم الشديد عن القيام بهجوم برى كبير داخل الأراضى اللبنانية تحسبًا لخسائر سبق وأن تعرضوا إليها فى الحقبة التى امتدت ما بين الأعوام ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠، والتى ستكون فى هذه المرة مضاعفة.

من المهم التذكير فى نهاية استعراض الأهداف والنتائج أنه فى الحروب غير المتماثلة الجديدة؛ فإن عدم التماثل لا يقتصر فقط على الأساليب والوسائل، ولكن يمتد أيضًا ليشمل قياسات النصر، فكلا طرفى الحرب لديه أيضًا قياسات غير متماثلة لذلك، وفى حالتنا هذه فإن قياس النصر من جانب جيش الدفاع الإسرائيلى منذ البدء كان يعنى «التعجيز الكامل ـ Complete incapacitate» لـ «حزب الله»، عبر إزالة قدرته على قصف الأراضى الإسرائيلية حاليًا وفى المستقبل؛ وهو ما كان يتطلب إعادة احتلال ليس فقط الجنوب اللبنانى؛ وإنما التقدم شمالاً ربما إلى مشارف بيروت الجنوبية؛ وهو ما لم يفعله

خشية تعرضه لجولة جديدة من قتال التمرد على تلك الأرض، بينما على النقيض كان قياس النصر لدى «حزب الله» هو الاستمرار فى القتال، عبر إطلاقات صاروخية ليس لاستهداف العمق الإسرائيلى بقدر الإعلان عن أن نبضًا ما زال فى القلب.

ثانيًا: فى مفهوم حروب الجيل الرابع (4 G W)

الحروب كظاهرة إنسانية تاريخية دائمًا ما تتغير طبيعتها وتتبدل أدواتها، وكذلك أطرافها التى تدرك وتتعلم لتستوعب ثم لتتكيف، وأحسب اليوم أن الحرب تتغير أسرع وعلى مستوى أعمق من أى وقت مضى خلال الـ٣٥٠ عامًا الأخيرة؛ أى منذ «صلح ويستفاليا ـ Peace of Westphalia» فى العام ١٦٤٨ الذى أنهى حروب الثلاثين عامًا، وأبرز الدولة بشكلها المعاصر الذى أسس لاحتكارها أدوات العنف؛ ومن ثم شن الحروب التى اقتصرت على دول ضد دول، حتى بلغ الأمر بالنسبة لكثيرين بالاعتقاد آليًا بأن الحرب صناعة قاصرة على الدولة، وصرنا نبحث فى حالة مواجهة حروب ضد أعداء من غير الدول عن مصطلحات نتداولها بصورة خاطئة مثل: «العمليات الأخرى غير الحرب» MOOTW، أو عمليات الاستقرار والدعم SASO، بينما يطرح الواقع أن المسألة صارت ليس فقط كيف نقاتل فى الحرب؟... ولكن فى: من يقاتلون فى هذه الحرب؟!... وما الذى من أجله يقاتلون؟

عبر كل العالم الآن تجد عسكريات الدول نفسها فى قتال مع خصوم من غير الدول non-state actors.. نوع من الحرب نسميه الآن حرب الجيل الرابع (4 GW)؛ إنه تحدٍّ صعب، فتقريبًا ودائمًا يكون لدى عسكريات الدول تفوق هائل فى معظم ما نسميه لـ «قدرات القتال ـ combat power»، وفى معظم الحالات ينتهى الأمر بهزيمة عسكريات الدولة!.. أشار لذلك المؤرخ العسكرى الأمريكى «جون بويد ـ John Boyd» الذى خدم فى سلاح الجو الأمريكى إبان الحرب الفيتنامية لقوله: «عندما كنت ضابطًا صغيرًا؛ تعلمت أنه إذا كان لديك تفوق جوى، وتفوق برى، وتفوق بحرى فإنك ستنتصر لا محالة... حسنًا فى فيتنام كان لدينا كل ذلك وخسرنا الحرب! لذا فقد اكتشفت أن هناك شيئًا ما أهم من ذلك!».

وفى تصورى أنه لفهم هذا الشىء الـ «ما» الأهم؛ فعلينا أن ندرك أن هناك سياقًا تاريخيًا لتطور طبيعة الحرب وإدارتها بدءًا بالجيل الأول الذى اعتمد مبدأ

«حشد القوة البشرية ـ mass of manpower» الذى بلغ ذروته إبان الحروب النابليونية . . إلا أنه بدأ فى التحلل بفعل التطورات التقنية فى أدوات الحرب ليفسح الطريق أمام الجيل الثانى الذى اعتمد مبدأ القوة الفيزيائية الذى بلغ ذروته إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) . . إلا أنه بدأ فى التراجع بفعل تطورات تقنية فى أدوات الحرب وفى الأفكار التى تديرها؛ ليفسح المجال أمام الجيل الثالث الذى بزغ إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) باعتماده «مبدأ المناورة ـ maneuver warfare» المؤسسة على السرعة المتزامنة فى حركة القوات والنيران معًا؛ لخلق مواقف خطرة وغير متوقعة بأسرع من قدرة العدو على التوافق معها، دافعًا إياه للتشتت عقليًا وماديًا . . وعلى مدى أكثر من ٦٠ عامًا أثبت هذا النوع من الحروب تفوقه الحاسم، ومن المؤكد أن التطورات التقنية المثيرة خاصة فى صناعة الإلكترونيات وتحديدًا شرائح السليكون الكثيفة الدوائر الإلكترونية المتكاملة، والانطلاق فى استخدامها فى الحاسبات وأنظمة الاستشعار والتوجيه والاتصالات والتحكم على نحو متسارع منذ مطلع الثمانينيات فى القرن المنصرم؛ منح ـ على نحو ما أسلفنا ـ قدرات قتال غير مسبوقة، ساهمت فى انطلاق ثورة الشئون العسكرية RMA التى أعلنت صريحة عن نفسها منذ مطلع تسعينيات ذات القرن .

ومن اللافت للنظر ـ ارتباطًا بسياق موضوع الورقة البحثية ـ أن هذه القدرات المتتالية الجديدة منحت إمكانية توجيه الضربات بدقة عالية، وعبر مسافات بعيدة، من خلال «الأسلحة الذكية ـ smart weapons» التى يتوافر بها قدرة التوجيه الذاتى نحو أهدافها، دون اعتماد ـ أو بأقل اعتماد ـ على العنصر البشرى؛ الأمر الذى أتاح تصاعدًا فى دور أسلحة الجو وتراجعًا ملحوظًا فى دور أسلحة البر؛ وهو ما بات واضحًا فى الدور الذى لعبته الأولى فى سلسلة الحروب التى شنت منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين .

الجيل الرابع من الحرب (4 GW) الذى يبدو تعثر الجيل الثالث من الحرب أمامه؛ هو صراع مسلح أحد أطرافه «فاعل من غير الدولة ـ non-state actor» فى مواجهة القوة العسكرية لذات الدولة أو لدولة أو ائتلاف دول خارجية . . الطرف الفاعل من غير الدولة هو حركات تمرد شعبية، تتمتع بدعم مجتمعى مؤسس على روابط إثنية، أو دينية، أو أيديولوجية، أو ثقافية، والتى من خلالها يتحول الولاء الأساسى من الدولة لتلك الحركات؛ ومن ثم فهى فى جوهرها تعبير عن أزمة الشرعية لعوامل داخلية وأخرى

خارجية، أفشلت بناء الهوية الوطنية والولاء الوطنى، بغياب دولة المؤسسات والقانون والحرية والعدالة الاجتماعية والمواطنة المتساوية.

ويمكن إبراز بعض من أهم سمات حركات التمرد الشعبية على النحو التالى:

ـ هى بطبيعة روابط الولاء داخلها عابرة لـ «الحدود القومية ـ transnational».

ـ وهى بطبيعة المتاح من أدوات العولمة حولها وفى مواجهة جهود الخصم لتقليص ملاذاتها الآمنة؛ تحولت بجرأة وبجدارة لتكون «متعددة الأبعاد ـ transdimentional» عبر استخدامها لـ «لفضاء المعلوماتى ـ Cyberspace» بتوظيفها لأنظمة الاتصالات الحديثة خاصة الإنترنت؛ ليس فقط فى مهام الاتصالات البسيطة؛ بل فى مهام التجنيد والتلقين الأيديولوجى والتدريب وترتيبات اللوجيستيك، واستغلال «غرف المحادثة ـ chat rooms» للتشاور وعقد اجتماعات دورية وطارئة بفرص ضئيلة لاختراقها.

ـ وهى تدرك أنه لا قبل لها بتحقيق انتصار عسكرى حاسم باعتبار مستوى التفوق التقليدى للخصم؛ ومن ثم فإن الصراع مع الخصم هو سياسى بالدرجة الأولى ولبس عسكريًا، وعلى العمل العسكرى أن يوظف بدقة لصالح الانتصار السياسى؛ لذا فهى تدير صراعًا «غير متماثل ـ Asymmetric» مع الخصم، بناء على عناصر أساسية تتضمن:

* تجنب مستوى التفوق التقليدى للخصم (أدوات وأساليب القتال التقليدية لحروب الجيل الثالث)، والعمل أسفل هذا المستوى (معركة عسكرية) وأعلى هذا المستوى (معركة سياسية).

* العمل أسفل هذا المستوى وهو المعركة العسكرية يعتمد أسلوب «حرب العصابات ـ guerrilla war» فى المناطق الحضرية المأهولة التى تتمتع حركات التمرد فيها بدعم السكان، وباستخدام الكمائن وزرع المتفجرات المصنعة على طرق اقتراب الخصم والتسلل والإغارة خلف مواقعه الأمامية. وهى بذلك تستخدم إستراتيجية تعويضية تستهدف تحييد عناصر التفوق التقليدى للخصم من أسلحة ووسائل استخبارات ومراقبة واستطلاع، ودفعه لاستخدام أساليب مضادة تضر بالسكان المدنيين وتزيد فى نفورهم منه.

* العمل أعلى هذا المستوى؛ وهو المعركة السياسية التى تستهدف استنزاف قاعدة الدعم السياسى الداخلى، أو ما يعرف بالإرادة السياسية الشعبية للخصم، اعتمادًا على

الإطالة الزمنية المتعمدة للصراع، وتأمين إيقاع منتظم فى الخسائر البشرية العسكرية والمدنية، مع توظيف موسع للإعلام لعرض الأحداث التى لا تتناسب مع القيم الاجتماعية السائدة داخل مجتمعاته.

من المهم فى هذا الجيل الرابع من الحروب الإشارة إلى ظهور ثلاثة مستويات جديدة للحرب هى: «المستوى المادى ـ physical» و«المستوى العقلى ـ mental» و«المستوى المعنوى ـ morale» وما يبدو من معضلة لعسكريات الدول أن المستوى المادى الذى تجيده والذى يعنى بقتل البشر وتحطيم الأشياء؛ هو المستوى الأقل فعالية فى هذا النوع من الحروب؛ حيث إن ما يعمل لصالحها على المستوى المادى بإسقاط المزيد من قوة النيران التى تسبب الخسائر البشرية وتدمير الممتلكات للسكان المحليين؛ غالبًا ما سيعمل ضدها على المستوى المعنوى الأكثر فعالية، بنفور هؤلاء السكان وزيادة دعمهم لحركات التمرد؛ بل وانضمامهم إلى صفوفها؛ الأمر الذى يمهد لهزيمة حاسمة لعسكريات الدول!

ثالثًا: الطرف الإسرائيلى فى الطريق إلى عملية تغيير الاتجاه

أدرك أن هناك أوراقًا عديدة ستتناول هذا الطرف بإسهاب وبتمكن، لكن سياق موضوع هذه الورقة والحاجة إلى ضرورة اتساقها المنهجى يفرض الإشارة إلى الطرف الإسرائيلى كونه الطرف الذى لم يدرك على غرار الحليفة الإستراتيجية الولايات المتحدة؛ ومن ثم فلم يكن مهيئًا لحروب من نوع الجيل الرابع الذى واجهه فى جنوب لبنان فى ذلك الصيف الحار والدامى من العام ٢٠٠٦. ويبدو أن عوامل ثلاثة تجمعت معًا وامتزجت لتأخذ القيادات السياسية والعسكرية العليا فى إسرائيل بعيدًا عن ذلك الإدراك:

العامل الأول: إن هناك بالفعل بيئة إستراتيجية مريحة لم تتمتع بها الدولة العبرية ربما منذ إنشائها؛ بفعل تقلص التهديد التقليدى لسوريا، وبفعل اختفاء تهديد الجبهة الشرقية بسقوط النظام الحاكم فى العراق والتواجد العسكرى الأمريكى على أرضه، وبفعل تمادى النظام العربى واسترخائه حتى فى البناء العسكرى على جدار خيار إستراتيجى للسلام، فى وقت تتعاظم فيه الفجوة التقنية النوعية لصالح إسرائيل بإمكانيات ذاتية وبرعاية أمريكية، وتبدو فيه مؤشرات نجاح فى احتواء الانتفاضة الفلسطينية بفعل اختراقات استخباراتية فعالة داخل الضفة والقطاع، فضلاً عن فاعلية «السور الأمنى ـ seam zone»، وتبنى عقيدة

مضادة لـ«الإرهاب» تعتمد تطوير قدرات الرد الفورى على الاستخبارات الآنية والاغتيال الممنهج لقادة التمرد؛ وهو الأمر الذى جعل رئاسة الأركان الإسرائيلية تعيد صياغة عقيدة عسكرية جديدة فى أوائل العام ٢٠٠٤ باسم «Kela 2008» تحدد فيها التهديدات بصورة طرفية؛ حيث «التهديد تحت التقليدى ـ sub-conventional» الذى يمثله الصراع الفلسطينى فى طرف، و«التهديد غير التقليدى ـ non-conventional» فيما وراء الأفق الذى تمثله إيران.

العامل الثانى: التغيرات الداخلية فى المجتمع الإسرائيلى وإعادة ترتيب الأولويات الاقتصادية والاجتماعية بفعل خطط الخصخصة والانفتاح والانخراط فى السوق العالمية، وغلبة المشروع الفردى على حساب المشروع القومى؛ وهى أمور عبر عنها أحد الكتاب الإسرائيليين فى تعليق أسباب الفشل الإسرائيلية فى الحرب الأخيرة فى لبنان بقوله: «إنه نابع من انهيار الروح الجماعية اليهودية». وقد انعكس ذلك منذ أوائل التسعينيات فى القرن المنصرم، فى نفور سياسى من الاستخدام الموسع للقوة العسكرية لإنجاز غايات وطنية، والتقليص المستمر فى ميزانية الدفاع.

العامل الثالث: الإلهام المثير لثورة الشئون العسكرية فى عقلية القيادات العسكرية العليا الإسرائيلية، انطلاقًا ليس فقط من انعكاساتها الهائلة فى ميادين المعارك التقليدية التى خاضتها العسكرية الأمريكية فى السنوات الـ١٥ الأخيرة؛ وإنما أيضًا لملاءمتها والأوضاع الديموغرافية والجيو إستراتيجية والاقتصادية التى تخص الكيان الإسرائيلى على نحو خاص؛ وهو الأمر الذى دفع رئاسة الأركان إلى الشروع فى تخصيص القوات البرية نسبة ٢٥٪ بدءًا من العام ٢٠٠٣، وتقليص مخصصاتها فى الميزانية العسكرية بنسبة ١٣٪، مع التركيز على الاستثمارات فى مجالات ثلاثة هى: الاستخبارات والأنظمة القيادية للسيطرة، والاتصالات والحاسبات C4I، والذخائر الجوية دقيقة التوجيه. وجاءت عبارات رئيس الأركان السابق الجنرال «موشى يعالون ـ Moshe ya alon» بأنه يتجه لجعل قدرات الدفاع الإسرائيلية «أصغر ولكنها أقوى ـ smaller but smarter»، وكأنها صدى لعبارة رددها وزير الدفاع الأمريكى السابق «دونالد رامسفيلد ـ D. Rumsfeld» بأنه يتجه لجعل القوات الأمريكية «أقل حجمًا وأكثر قدرة ـ Leaner and meaner».

لكل هذه العوامل الرئيسة وعوامل أخرى؛ فإن اعتماد القيادة الإسرائيلية على الإستراتيجية فى الجو بصورة أساسية مترافقة مع حملة برية هزيلة تتجنب الخسائر البشرية

بقدر الإمكان مع احتمال تكرار تواجد عسكرى دائم مرة أخرى فى الجنوب اللبنانى؛ أمر كان يبدو أكثر من منطقى، وهو ما عبر عنه الجنرال «دان حالوتس ـ Dan Halutz» بقوله أمام الكنيست فى اليوم الخامس من الحرب: «مع كل التقنية التى لدينا لا أجد سببًا لبدء إرسال قوات برية إلى الداخل اللبنانى».

رابعًا: حزب الله: الإستراتيجية والقدرات العسكرية

فى البدء أحسب أن «**حزب الله**» كان نموذجًا لحركات التمرد الاجتماعية، التى تمثل الطرف الفاعل من غير الدول فى حروب الجيل الرابع (4 GW)؛ فهو حركة:

ـ أفرزتها أزمة الشرعية فى الدولة الحاضنة، بفعل عوامل داخلية أبرزها فشل النخبة السياسية فى بناء هوية وطنية، والظلم السياسى والاجتماعى لشريحة معينة منها، وهى الطائفة الشيعية الأكبر.

ـ تستمد شرعيتها عبر قاعدة عريضة متأصلة فى المجتمع الشيعى، وتستند فى تماسكها على رابطة الولاء الدينى المذهبى.

ـ عابرة للحدود القومية، باعتبار الرابط المذهبى مع إيران والرابط القومى العربى مع سوريا وحركات التمرد الأخرى فى الساحة العربية؛ الأمر الذى وفر لها سندًا ماليًا ومعنويًا، والأهم تسليحيًا لا ينضب.

ـ توفرت لها زعامة كاريزمية مارست طبيعة نضالية ليست مختلفة فقط عن باقى الزعامات السياسية الأخرى فى لبنان، ولكنها تبز القادة السياسيين والعسكريين فى العالم العربى.

كما أحسب عن يقين أن هذا الطرف كان يدرك الوضع الإستراتيجى الذى كان عليه قبيل هذه الحرب:

* كان يدرك أنه حقق إنجازًا غير مسبوق فى سياق الصراع العربى/ الإسرائيلى بإجباره القوات الإسرائيلية للمرة الأولى على مغادرة أرض عربية دون توقيع ترتيبات سلام.

* وكان يدرك أن لبنان قد انقسم على نفسه فى مسألة سلاح المقاومة إلى معسكرات ثلاثة: أحدها معه، وآخر يطالب بنزعه، والثالث يراه مسألة مطلوبة ولكنها مؤجلة.

* كان يدرك أن اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريرى وما رافقه من خروج الجيش السورى فى ٢٦ إبريل ٢٠٠٥، وما تبعه من تغير فى وجهة المجلس اللبنانى ومجلس الوزراء فى أعقاب الانتخابات البرلمانية؛ هى أمور بمثابة تآكل فى أوضاع دعم طالما تمتع بها.

* وكان يدرك التغيرات العاتية التى أتى بها الغزو الأمريكى للعراق، واستعراض القوة العسكرية بأدوات ثورة فى الشئون العسكرية، هى بالتحالف وبالرعاية فى حيازة الخصم الإسرائيلى الرابض على حدود التماس.

* وكان يدرك فى النهاية أنه أمام كيان خصم لن يغفر له إنجازه؛ هو ببساطة آلة قتل جماعى راغب فى تكريس صورته الانطباعية باعتباره «دولة مجنونة» فى الإدراك والوعى الجمعى العربى والإسلامى والدولى.

انطلاقًا من هذه الإدراكات الأساسية تهيأ **«حزب الله»** لحرب الجيل الرابع (4 Gw)، عبر إستراتيجية وقدرات عسكرية تتلاءم وطبيعة الحرب غير المتماثلة التى قررها فى مواجهة عسكرية دولة خصم، ليست فقط تمتلك أدوات الثورة فى الشئون العسكرية؛ ولكنها تأتى من حيث النوعية فى دائرة العسكريات القمة فى العالم.

١ ـ **الإستراتيجية العسكرية**: انتهج الحزب «إستراتيجية تعويضية ـ countervailing strategy» تعتمد على تجنب مصادر القوة لدى الخصم، واستغلال نقاط الضعف لديه عبر أربعة عناصر رئيسة:

(أ) تنظيم القوات فى شكل «شبكة منتشرة ـ distributed network» من خلايا ووحدات صغيرة على اتصال فيما بينها عبر أجهزة «لاسلكية فردية ـ walkie -talk» مشفرة، تتشكل فى أنساق مترادفة فى نفس البلدات والقرى، عبر أعماق متتالية بحيث يواجه الخصم مع كل تقدم مقاتلين جدد وتكتيكات جديدة تتناسب مع المكان والتضاريس الذين هم أهله.

(ب) العمل فى داخل مناطق حضرية من قرى وبلدات تم تجهيزها مسبقًا بشبكات ملاجئ وخنادق ومواقع حصينة، مع توظيف مسبق لكافة المنشآت المدنية فى كل المناطق؛ وذلك ليس فقط لتحييد وسائل التفوق التقليدى للخصم (مدرعات، طائرات قتال وهيلوكوبترات، مدفعيات، أنظمة استشعار على مدار الساعة، خاصة الطائرات غير

المأهولة (UAV)؛ ولكن عبر استخدام المدنيين كسلاح دفاعى يرهق أنظمة تسليح الخصم فى محاولات تجنبه، ويستثمر خسائره البشرية والدمار المصاحب فى حشد التأييد الشعبى داخليًا وعربيًا وإسلاميًا ودوليًا.

(جـ) الاستنزاف والرد البطىء لمواجهة سرعة المبادرة وكفاءة نظم القيادة والسيطرة التى يتمتع بها الخصم، من خلال الانضباط التكتيكى بانتظار الهجمات داخل المواقع الحصينة، وإعادة التسلل والظهور فى الوقت المناسب لشن هجوم أو عمل كمين، فضلاً عن أن مقاتلى الأنساق الأمامية يمكن تركهم فى الخلف أو التضحية بهم فى شن عمليات فى مؤخرة الخصم.

(د) التخزين المسبق لاحتياجات داخل الملاجئ والتحصينات والمنشآت المدنية فى القرى والبلدات بصورة متراكمة على مدى السنوات الماضية منذ خروج الاحتلال الإسرائيلى؛ للتعويض عن احتمالات قطع خطوط الإمداد المتدفقة من الشمال بفعل التفوق الجوى والمدفعى والداخلى الدولى الإسرائيلى، وكفاءة أنظمة الاستطلاع على مدار الساعة المتوافرة لديه.

٢ ـ **القدرات العسكرية**: أبرزت الحرب كيف لطرف فاعل من غير الدول أن يمتلك القدرة على حيازة واستخدام أسلحة متطورة، ارتفعت بمستويات الحرب غير المتماثلة لآفاق تقنية عالية وغير مسبوقة لمثل هذه الأطراف. . بل يمكن القول عن يقين إن التوازن المصحوب بفاعلية الذى حققه **«حزب الله»** على مدى الـ٣٣ يومًا هى مدة الحرب فى مواجهة قوات الدفاع الإسرائيلية؛ جاء على نحو كان يحلم به فقط الجنرالات والرأى العام فى العالم العربى منذ أكثر من ثلاثة أجيال.

وأحسب عن يقين أن حزب الله فى بنائه لقدراته العسكرية كان يدرك أن استخدامها ليس مقصورًا على معركة عسكرية تحت مستوى التفوق العسكرى التقليدى لعسكرية دولة خصم، بقدر ما هو عصب أساسى فى المعركة السياسية الدائرة فوق ذلك المستوى، وربما أشير على نحو دقيق إلى ترسانة الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى التى احتوتها ترسانة الحزب العسكرية على نحو خاص.

وسنعرض تاليًا لأبرز ما توافر لدى الحزب من قدرات عسكرية فى طريقه إلى أزمة «الوعد الصادق»، ومنها إلى حرب «تغيير الاتجاه».

(أ) قدرات صاروخية أرض/ أرض

هى أنظمة صاروخية قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى، توفر للحزب الوصول المتدرج إلى المراكز الحيوية والأهداف العسكرية داخل أراضى الخصم، ويتم إدارتها والتحكم فى إطلاقاتها عبر مركز قيادة وسيطرة متطور.

أنظمة صاروخية قصيرة المدى (حتى ٤٠ km) من نماذج سلسلة الصواريخ المدفعية «الكاتيوشا- kaytusha» عيار ١٢٢ mm تتوافر فى غالبها من طرازات عادية وحتى ٢٠ km، وبعض منها من النوع الممتد المدى (حتى ٤٠ km)، وهى بذلك توفر وصولاً من داخل الجنوب اللبنانى إلى عمق يصل فى أقصاها حتى ٣٠ km، ورغم محدودية قدرتها التدميرية ودقتها؛ إلا أنها تمثل قدرات أكثر من كافية ضد التجمعات السكانية فى عمق الشمال الإسرائيلى.

• أنظمة صاروخية متوسطة المدى (٤٥ - ١٠٠ km)

هى أحد الأسباب الرئيسة لذهاب إسرائيل إلى الحرب باعتبار قدرتها التدميرية وعمق اختراقها حتى وسط أراضى الدولة (وهو ما حدث لقصف بيسان والخضيرة فى اليوم الثانى والعشرين والرابع والعشرين للحرب)، وتشمل الترسانة صواريخ فجر - ٣ (٤٥ km)، وفجر - ٥ (٧٢ km) الإيرانية، وصواريخ رعد (٤٥ km) وخيبر - ١ (٧٢ km) السورية التى مثلت مفاجأة للطرف الإسرائيلى.

* أنظمة صاروخية بعيدة المدى (١١٢ - ٢٢٠ km) أحد الأسباب الرئيسة أيضًا لذهاب إسرائيل إلى الحرب، باعتبار قدراتها التدميرية وعمق اختراقها لأبعد من العاصمة السياسية للدولة، وتشتمل ترسانة الحرب على صواريخ زلزال - ٢ (١١٥ - ٢٢٠ km)، وزلزال - ٣؛ وهو نموذج موجه وأكثر تطورًا من النموذج السابق، وعلى كل فإن الحزب لم يستخدم هذا النوع من الأنظمة الصاروخية ربما كنوع من الانضباط التكتيكى المطلوب فى عمليات التصعيد، وربما لضغوط إيرانية لاعتبارات إقليمية ودولية.

(ب) قدرات صاروخية مضادة للمدرعات

مثلت هذه القدرات الأسلحة الأكثر فعالية فى الحرب، ليس فقط فى استخدامها بكفاءة

ضد المدرعات، ولكن لكفاءة الاستخدام فى قتال المشاة الإسرائيلية داخل البلدات والقرى فى الجنوب اللبنانى، رغم حيازة الحزب لبعض من الأنواع الأكثر تطوراً من الجيل الثالث على غرار AT-14karnet الموجهة ليزريًا وذات الرءوس الحربية المترادفة التى تمكن من اختراق تدريعات الصلب بعمق يصل إلى ١٢٠ mm، التى مثلت قفزة نوعية كبيرة غير مسبوقة فى حروب العصابات (حسب التقديرات الإسرائيلية فمن بين ٥٠ دبابة ميركافا أصيبت فى هذه الحرب فإن ٢٢ منها اخترقت؛ أى نسبة ٤٤٪).

(جـ) قدرات صاروخية مضادة للسفن

مثلت حيازة الحزب للصواريخ الكروز C-802 المضادة للسفن والموجهة راداريًا ذات المدى الذى يصل إلى ١٢٠ km قفزة نوعية أخرى فى القدرات العسكرية لأطراف الحرب غير المماثلة، وأحسب أن إصابتها لفرقاطة الصواريخ «حانيت ـ Hanit» المجهزة بنظام Barak الأحدث فى العالم لمقاومة هذا النوع من الصواريخ المضادة للسفن، ومشهد سحبها أمام الشواطئ اللبنانية جنوبًا نحو ميناء أشدود؛ لم يكن فقط مؤشراً على التقنية العسكرية التى بلغها طرف فاعل من غير الدول، بقدر ما حمل مضامين سياسية لمعركة تدور فوق مستوى التفوق التقليدى لعسكرية دولة خصم.

(د) قدرات صاروخية مضادة للطائرات

تحتوى ترسانة الحزب على صواريخ فردية مضادة للطائرات، بعضها متقادم مثل طراز «ستريلا ـ SA-7 Strela»، وبعضها متطور من طرازات «إيجلا ـ IE-18- Igla SA» التى يصل مداها إلى حوالى ٥٢٠٠ m بارتفاع ٣٥٠٠ m، كما تُرجع حيازة الحزب لتلك الأنظمة إجهاداً إضافيًا على استخدام طائرات القتال، من خلال تشغيل مستمر لأنظمة الحزب الإلكترونية، وإجبارها على مناورات عملياتية حادة، بينما حيدت استخدام طائرات الهيلوكوبتر فى عمليات هجومية أو عمليات الإبرار فى العمق.

(هـ) منصات جوية غير مأهولة UAV

يمتلك الحزب عدداً يتراوح بين (٢٤ ـ ٣٠) من الطائرات بدون طيار من طراز «أبابيل ـ Ababil» الإيرانية الصنع (يطلق عليها حزب الله مرصاد ـ ١)، وقد استعرض الحزب قدراته فى اختراق المجال الجوى الإسرائيلى بنجاح لمرتين متتاليتين فى نوفمبر ٢٠٠٤، وقبلها فى إبريل ٢٠٠٢، دون اكتشاف أو اعتراض من قبل الخصم. وتمثل حيازة

واستخدام هذه القدرة تطورات واعدة سواء فى مهام المراقبة والاستطلاع الآتى لعمق الأراضى الإسرائيلية، أو فى مهام قصف الأهداف الحيوية العسكرية فى ذلك العمق.

(و) قدرات حرب إلكترونية

هذا النوع من القدرات التى يحوزها **«حزب الله»** مفاجأة، ليس فقط للطرف الإسرائيلى؛ بل للطرف الأمريكى، الذى سارع بإرسال خبراء إلى إسرائيل للاطلاع على أداء الحزب فى هذا المجال، الذى يمثل لدى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل أحد أدوات الهيمنة الأساسية فى ميدان المعركة التقليدية، من خلال السيطرة على المجال الكهرومغناطيسى لساحة القتال، سواء بتأمين استخدامه لصالح القوات الصديقة، أو بحرمان استخدامه من قبل قوات الخصم. . ويمكن القول إن موارد الحزب فى الحرب الإلكترونية التى وفرتها له إيران أتاحت له قدرة إفشال أنظمة الحرب الإلكترونية الإسرائيلية فى إعاقة نظام القيادة والسيطرة والاتصالات التى اعتمدت فى جزء كبير منها على استخدام «الألياف البصرية ـ optical fibers» فى الربط بين عناصره والقدرة على اختراق شبكة الاتصالات الإسرائيلية، ورصد الرسائل والمحادثات، والتعرف على نظام المعركة الآنى، والقدرة على إفشال أنظمة استخبارات الاتصالات COMINT، وأنظمة استخبارات الإشارة SIGINT لقوات الدفاع الإسرائيلية، التى لم تتمكن من اعتراض الرسائل والبلاغات والأوامر، سواء فى ميدان المعركة، أو بين قادة الحزب والخارج، وقدرة تجنيد نظام الدفاع ضد الصواريخ المضادة للسفن Barak المجهزة به سفن البحرية الإسرائيلية، كما وضح فى إصابة الفرقاطة Hanit أمام الشواطئ اللبنانية.

***

التعقيب

د. نادية مصطفى(*)
لواء: محمد خير شياب(**)

● د. نادية مصطفى

هناك طابع شدة فى أبعاد سياسية كثيرة. . وهناك كلمتان: هى الحروب الآن بيننا وبين قرانا، وهناك طرف يقود الحروب الإنسانية وطرف يقود الحروب الانهزامية. . ربما كان لبرنامج حوار الحضارات دور فى توضيح الرؤية وسريانها وتفصيل دور الثقافة والفكر عقب وقف العدوان على لبنان؛ فالحروب لها دلالات حضارية ونحن ندافع عن حقوقنا.

لماذا لا يتم القضاء على فكرة أن إسرائيل هى دائمًا التى لا تقهر. . فلماذا لا تسير الأمور وفق رغبتنا وليس رغبة إسرائيل؟

لماذا نقول إن إسرائيل هى التى جرت إلى هذه الحرب، وإن الحرب ليست قائمة على أساس تخطيط من جانب إسرائيل. . وكأنه لا توجد ميول عدائية لدى إسرائيل للجنوب اللبنانى. . والتاريخ يؤكد وضوح هذه الفكرة على الملأ، والعدوان الجنونى على لبنان هو الذى أدى لوجود منظمة التحرير الفلسطينية. . فلماذا نلقى اللوم على «حزب الله» بسبب عملياته التى جرت إسرائيل إلى هذه الحرب دون سابق تخطيط؟ فالأهداف الإسرائيلية العسكرية والإستراتيجية موجودة بالكامل داخل الأجندة والعقلية الإسرائيلية؛ فمنذ التحرير عام ٢٠٠٠ ولبنان تعمل على إعادة البناء حتى نشوب المعركة التى قضت على الأخضر واليابس.

(*) أستاذ العلاقات الدولية، ومدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

(**) مدير دراسات المرصد التعاونى بالأردن.

• **لواء: محمد خير شياب**

يسعدنى أن أوجه تحياتى وشكرى وتقديرى إلى د. المشاط ود. نادية لنتشارك ونبحث فى مجال الحرب.. أشارك بصفتى الشخصية وليس الرسمية.. فى الواقع العسكرى بشكل عام نحن أداة السياسة، والتخطيط والمدافع والدبابات كلها أمور متفق عليها..

خلال تعقيبى على السادة الأفاضل فإن القصد هو محاولة أن أؤكد وأعزز وأضيف عليها من نظرياتى العسكرية.. هذه الحرب أطلق عليها عدة أسماء؛ فهى «حرب الأسيرين»، و«الحرب السادسة»، ولكن حرب عام ١٩٤٨ لم تكن حربًا بمعنى الكلمة.. وفى حرب عام ١٩٥٦ كانت مصر تحارب لوحدها، وحرب عام ٦٧ لا نسميها حربًا، وحرب عام ١٩٧٣ هى استعادة للأرض.. لكن برأيى أن الضابط العربى لا يتخلف؛ فهو عربى، وعلى المستوى الدولى فـ **«حزب الله»** عندما خطف الجنود كان يعلم أن إسرائيل سوف تطلق صاروخًا أو آخر بغرض التهويش، لكن إسرائيل فشلت فى تحقيق أى من أهدافها، وهذه الحرب هى أهم حرب بسبب فشل قدرة الردع الإسرائيلية، ولا تزال إسرائيل لم تقدر على أخذ الجنديين.. وثانيًا فإسرائيل لأول مرة تُقصف فى بيتها، ولأول مرة معظم الأطفال فى الملاجئ، وحتى فى الحرب ٦٧ لم يتم انتهاك إسرائيل بهذه الصورة، وثالثًا لم تتعلم إسرائيل فى حربها مع **«حزب الله»**.

لماذا كل هذا الإنفاق على العمليات العسكرية أو على التكنولوجيا العسكرية.. هناك ملايين بل بلايين الأموال التى تنفق على التقدم العسكرى لكى تلحق الدول العربية بالركب العسكرى دونما حدوث حروب أو خلافه.. فمنذ بدء الصراع العربى الإسرائيلى هناك استنزاف للثروة العربية فى المجال العسكرى بدلاً من المجال الاقتصادى لكى نلحق بالركب الاقتصادى ونطور أنفسنا ونتحول من دول متخلفة إلى دول متقدمة.

وإذا كانت القدرات العسكرية صفرًا فستكون كل مقدرات الدولة لا شىء، وهذه معادلة تعيشها الدول العربية مجتمعة.. وهكذا فنحن أمام معادلة صعبة؛ فجميع الدول العربية لا تستطيع القتال الآن رغم الإنفاق المستمر للتكنولوجيا العسكرية، ورغم فهم الثروة العسكرية.. وهى لا تستطيع الإقبال على القتال لاعتبارات سياسية فقط.

«حزب الله» يمتلك ٢٠٠٠٠ صاروخ كما جاء على لسان **«حسن نصر الله»**، وهناك نقطة أساسية أستطيع قولها فى هذه الأحداث ألا وهى: لا بد للدول العربية أن تغير

إستراتيجيتها العسكرية ومعتقداتها وتقاليدها الانطوائية والسلبية، وتفكر فى المستقبل بشىء من القوة.

وبعيداً عن الانفعالية ما زال شبح الحزن والهم والخوف يقتل الدول العربية مجتمعة؛ فـ «حزب الله» منفرداً استطاع خوض المعركة وحده، ودون تدخل الدولة التى يحيا فيها هو والشيعة؛ وهذه أهم حرب فى تاريخ الصراع العربى / الإسرائيلى.

والأخ زكريا أوضح أن «أولمرت» و«ميرتيس» ليست لهما خبرة عسكرية؛ فلقد تغافل لواء: زكريا عن رئيس هيئة الأركان، الذى هو طيار ويعرف مقدار الخطأ الذى يقع دون تفصيل عملية التخطيط.. فكيف يأمر بإمداد جوى ويسقط طائرات على أشخاص.. والشخص قد يختبئ وراء حجر أو فى مغارة أو.. إلخ.... وهذه نقطة.

أما عن قصف إسرائيل لـ «حزب الله» فإنهم لم يتمكنوا من ذلك؛ وإنما كانت الفكرة هى قصف لبنى أساسية وكهرباء ومستشفيات، وليس فقط قصف جنوب لبنان؛ وإنما قصف شمال لبنان ومواقع مدنية فقط.. فإنك تجد أن هناك مناطق مدنية متعددة قد تم قصفها، وهناك على بعد أمتار مناطق اختباء لـ «حزب الله»، ولكن القوات الإسرائيلية لم تستهدفها رغم أنها ليست بعيدة عن الاستخبارات الإسرائيلية..

أما عن المعلومات وأن «حزب الله» خطط لحرب العصابات؛ فلم يتم تفصيل هذه النقطة بالشكل الجاد.. حيث إن «حزب الله» هدفه الوصول لإسرائيل وهذا يستحيل بصورة أو بأخرى.

أما عن الاستخبارات الإسرائيلية فهى لم تتغير منذ ١٩٨٢ حتى ٢٠٠٠؛ فالأهداف الإسرائيلية واضحة للقائد أو الجنرال الإسرائيلى، مثلما هى واضحة للمواطن الإسرائيلى العادى. مهما كان القائد أو الجنرال؛ فإن السياسة العسكرية الإسرائيلية واضحة للعيان، ومهما كان التخطيط والأبعاد الإستراتيجية والتمويل اللامحدود من جانب أمريكا؛ فلن يستطيع الجنرال الإسرائيلى مهما أوتى من خبرة عسكرية فائقة أن يغير العقيدة الإسرائيلية التى بنيت على القتل وإرهاب الشعوب، فإسرائيل هى التى خلقت حركة فتح وحماس وخلقت «حزب الله» بعد ذلك، والحرب الأهلية فى لبنان نتاج طبيعى لسوء التخطيط والهمجية الإسرائيلية.

١٣٠٠٠ رحلة جوية لإسرائيل على «حزب الله» لم تحقق أهدافها نهائيًا، والمستوى العسكرى الإسرائيلى متدن جدًا جدًا فى هذا التوقيت.. هناك هجرة عالية جدًا من إسرائيل إلى خارج إسرائيل.. وقد تكون طبيعة وتضاريس لبنان معروفة إلى حد ما بالنسبة لإسرائيل، والذخائر العنقودية والفسفورية المستخدمة فى الحرب كانت مهمة جدًا لقصف المدينة، وهذه الحرب مهمة جدًا لكى يدرك العرب أهمية الجندى العربى ذى العقيدة القوية، وليست القوات الجوية والتقنيات العسكرية وحدها هى التى تحقق النصر؛ فيجب أن تدرك العقلية العربية ما لدى الجندى العربى من قوة جبارة تفوق أسلحة إسرائيل وأمريكا، والجندى الإسرائيلى حاله يتدهور وتضيع منه من حين لآخر عقيدته، وشبح الهجرة يطل عليه كل لحظة.

وهكذا: الإيمان والعقيدة والإعداد الجيد للجندى العربى؛ يجعل ويخلق من الهزيمة نصرًا كبيرًا وليس الإمداد والتكنولوجيا.

***